

اتحاد العلماء المسلمين

تأليف
الإمام العالم تقي الدين أحمد بن محمد بن عبد الله الفارسي
المحقق
المحقق سنة ١٤٥٥ هـ

قدّم له وكتب عليه
ياسر عبد الصالح

مقدمة المداقق

١ - المؤلف وحياته

هو العلامة المؤرخ صاحب المخطط، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي ابن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد، يسمو بشبه إلى العبيدين الفاطميين حكام مصر، قبل صلاح الدين، معتمداً على ما قاله له أبوه حينما دخل معه جامع الحاكم بأمر الله: «علما جاتع جلك»^(١)، ويعرف بالمقرئزي^(٢) نسبة إلى حارة المقارزة بملك بيلاد الشام. كانت أسرته تقيم بملك، وكان جده بها من كبار المحققين، ورأى أبوه أن يتحول إلى القاهرة حيث تقلد بعض الوظائف في القضاء، وديوان الإنشاء، ومنذ ذلك الوقت اتخذ مصر موطناً.

• مولده ووفاته:

المقرئزي مصري المولد والدار والوفاة^(٣)؛ ولد بالقاهرة في حارة برجوان سنة ٧٦٦هـ = ١٣٦٢م^(٤)، وتوفي بها أيضاً حيث كانت وفاته عصر الخميس التاسع عشر من رمضان سنة ٨٤٥هـ = ١٤٤١م ودفن يوم الجمعة قبل الصلاة بحوش

(١) ابن حجر المصنف: إنباء الغمر باباء العمر: ج ٤ ص ١٨٨.

(٢) السخاوي: التبر المسبوك في ذيل السلوك: ج ٢ ص ٢١.

(٣) ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي: ج ١ ص ٤١٥.

(٤) يختلف المؤرخون في تحديد تاريخ مولد المقرئزي؛ فابن حجر يحدده سنة ٧٦٦هـ، والسيوطي سنة ٧٦٩هـ، أما السخاوي فلم يحدد سنة ولكنه يذكره بعد الستين والبيعانة.

وكذلك ابن تغري بردي.

انظر - ابن حجر: إنباء الغمر: ج ٤ ص ١٨٧، السخاوي: القسرة اللاحق: ج ٢ ص

٦٦، ابن تغري بردي: المنهل الصافي: ج ١ ص ٤١٥، البيهقي: حسن الخاتمة: ج ١

ص ٤٨١.

الصوفية البيرونية خارج باب النصر من القاهرة.

• النشأة والتحصيل:

نشأ المقرئى بالقاهرة، وتلقه على مذهب الحنفية وهو المذهب الذى كان عليه جده لأمه العلامة شمس الدين محمد بن الصائغ، ثم لا ترعرع وجاور المشيرين وتوفى أبوه سنة ٧٨٦هـ تحول شافعياً وأحب اتباع الحديث، وتعلم على الكثير من الأئمة والشيخوخ فى عهده منهم الشيخ برهان الدين بن إبراهيم ابن أحمد بن عبد الواحد النسافى، والشيخ ناصر الدين محمد بن على الحرورى، والشيخ برهان الدين الأسدى، وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقى. ثم حج وسمع الحديث بمكة وبالشام عن كثير من الحفاظ، وأجيز بالرواية من كثيرين كأمى البقاء السبكى ولبنى بكر بن الحب، وشغف بالتاريخ فجمع منه شيئاً كثيراً وصف فيه كتباً، وكان لكثرة ولعه بالتاريخ يحفظ كثيراً منه^(١) وقد تعلم على المؤرخ الكبير عبد الرحمن بن خلدون (التوفى ٨٠٨ هـ) أثناء إقامته بالقاهرة وتولى قضاء المالكية، وتأثر المقرئى تأثراً كبيراً بأسلوب ابن خلدون فى نظراته الاجتماعية الثاقبة واتضح ذلك جلياً فى مؤلفاته^(٢).

• الوظائف التى شغلها المقرئى:

التحق المقرئى بعدد من الوظائف الحكومية فعمل فى:

- سنة ٧٨٨هـ موقفاً بديران الإنشاء وكان فى الثانية والمشرين من عمره.
- ثم عين نائباً من نواب الحكم عن قاضى القضاة الشافعى، أى قاضياً، ثم خطيباً بجامعة عمرو بن العاص، وبمدرسة السلطان حسن، ثم تولى إمامة جامع الحاكم بأمر الله الفاطمى وهى وظيفة كبيرة فى ذلك العصر.
- وتولى بعد ذلك تدريس الحديث بالمدرسة المؤيدية.
- وولى الحسبة غير مرة، وكانت أول مرة تولاه فيها من قبل الظاهر برفوق

(١) ابن حجر: إنباء الغمر: ج ٤ ص ١٨٨.
(٢) المقرئى: اتعاظ الحنفيا: ج ١ مقدمه د. الشبال: ص ١١ وما بعدها. وقد أفاضنا ترجمة د. الشبال للمقرئى ونقشه لمؤلفاته بإذنه كريمة.

فى ٢١ رجب سنة ٨٠١هـ^(١).

• وفى سنة ٨١٦هـ سافر المقرئى إلى دمشق ودرس فى المدرستين الإقبالية والأشرفية، وتولى إلى جانب ذلك نظارة أوقاف القلاىس.

• ثم عرض عليه أن يلى قضاء دمشق ولكنه رفض.

وبعد عودته المقرئى من دمشق إلى القاهرة عزف عن الوظائف الحكومية ولزم داره حيث تفرغ للقراءة والدرس والتأليف.

• ثم حج سنة ٨٣٤هـ وأقام بمكة مدة اشغل أثناءها بالتدريس، ثم عاد إلى القاهرة ليستكشف على الدرس والتأليف حتى توفى سنة ٨٤٥هـ مخلفاً تراثاً ضخماً من المؤلفات فى شتى فنون العلم والمعرفة. وقد قال عنه ابن تغرى بردى (ت ٨٨٤هـ) الذى كان أحد تلاميذه: «تفقه وبرع وصف التصانيف المقيمة الجامعة لكل علم، وكان ضابطاً مؤرخاً متقناً، محدثاً معظماً فى الدول».

٢ - مؤلفات المقرئى

كان المقرئى مجاً للتأليف، مغرماً بالتاريخ، ولم يقتصر غرامه به على نوع واحد بل تناول عدة أنواع؛ فكتب فى التاريخ العام، وفى الخطط، وغير ذلك، وكان تنقله بين الوظائف المختلفة فى الدولة معيماً له على معرفة النظم الديوانية وأخبارها، وهذا بدوره أدى إلى وصفه لكثير من العادات والتقاليد والاجتماعية، وبذلك أصبحت مؤلفاته من أهم المصادر لدراسة تاريخ مصر وآثارها، فهى «معدن ثمين متصل الخبثات فى تاريخ مصر»^(٢).

وتنقسم مؤلفات المقرئى إلى قسمين:

- ١ - كتب موسوعية كبيرة^(٣).
- ٢ - رسائل صغيرة.

(١) ابن تغرى بردى: المنهل العاتق: ج ١ ص ٤١٥.
(٢) د. محمود رزق سليم: عصر سلاطين المماليك وتناحيه العلمى والأدبى: ج ٣ ص ٣٢٠.
(٣) المقرئى: اتعاظ الحنفيا بأخبار الأئمة الفاطميين الحفاظ: ج ١ مقدمة التحقيق د. جمال الدين الشبال ص ١٣.

ولم يقتصر تأليف المقرئى على التاريخ، بل ألف فى النقود وتاريخها، وله مؤلفات تحدث فيها عن الحديث والفقه وعلم الكلام.

وقد سعد المقرئى بأن شاهد مؤلفاته تقرأ وتدرس فى حياته. وقد قال تلميذه أبو المحاسن بن تغرى بردى: «وقرات عليه كثيراً من مصنفاته».

نشير هنا إلى بعض مؤلفات المقرئى والسى ما يزال الكثير منها مخطوطاً ينتظر من يقوم بإمالة النام عنه وإخراجه إلى النور.

أولاً: المؤلفات الكبيرة:

١- المؤلفات التى تؤرخ لمصر وتصفها:

١- «عقد جواهر الأسفاط فى أخبار مدينة القسطنطية» أرخ فيه لمصر من الفتح الإسلامى إلى قبيل الفتح الفاطمى. وهذا الكتاب مفقود أو فى حكم المفقود^(١) حيث كانت منه نسخة وحيدة وفريدة فى مكتبة الدولة ببرلين ضمن مجموعة خطية - وذلك قبل الحرب العالمية الثانية، ولا أحد يعرف عنه شيئاً للآن.

٢- «اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الحنفا» ويتناول فيه أصل الفاطميين وتاريخهم حتى قيام دولتهم بالمغرب ثم انتقالها لمصر وحتى سقوطها.

وقد نشر الجزء الأول منه - غير كامل - عن مخطوطة فى مكتبة جوتة بألمانيا المستشرق «هوجو يونز» سنة ١٩٠٩م، ثم فى سنة ١٩٤٨م قام بتحقيق هذا الكتاب وأعاد نشره د. جمال الدين الشيبال، وكلا الطبعتين كانتا تنسهيان بدخول المغز لدين الله الفاطمى مصر، ثم عشر على نسخة كاملة وحيدة فى مكتبة سراى أحمد الثالث بإستانبول. وفى سنة ١٩٦٧ صدرت الطبعة الجديدة من اتعاظ الحنفا وكان الجزء الأول من تحقيق د. الشيبال، ثم توفى، فأكمل تحقيق هذا السفر الجليل د. محمد حلمى أحمد وأصدر الجزء الثانى والثالث.

٣- «السلوك لمصرفة دول الملوك». يتناول فيه تاريخ مصر منذ بداية الدولة

(١) المقرئى: المرجع السابق مقدمة ج ١ ص ٢٠.

الأيوية وحتى قبيل وفاته. وقد قام بتحقيق الجزء الأول والثانى منه د. محمد مصطفى ريادة فى ست مجلدات بين سنتى (١٩٣٤ - ١٩٣٨م) أما الجزء الثالث والرابع فقام بتحقيقهما د. سعيد عبد الفتاح عاشور فى ستة مجلدات تم نشرها بين سنتى (١٩٧٠ - ١٩٧٢م).

٤- «المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» - وهو من أشهر مؤلفات المقرئى وله أهمية لكل دارس لتاريخ وآثار مصر؛ حيث وصف فيه مصر ومدنها ودوريتها وحاراتها ومساجدها وكنائسها ومدارسها ودورها وخصائنها وأسبيلها، وأرخ فيه للمواصم الإسلامىة فى مصر وخاصة القاهرة، فكان هذا الكتاب موسوعة أثرية وإلمامة تاريخية، وقد اعتنى بطبع هذا الكتاب ونشره منذ فترة طويلة؛ فصدرت منه طبعة بولاق^(١) سنة ١٨٥٤م فى مجلدين، ثم طبعة مطبعة النيل سنة ١٣٢٦هـ فى أربع أجزاء، ثم صدرت منه طبعة بتحقيق العلامة المستشرق جاستون فييت ولكنها لم تتم؛ وإذا صدر منها خمسة أجزاء فقط طبعها المعهد العلمى الفرنسى لدراسة الآثار الشرقية بالقاهرة سنة ١٩١١ - ١٩٢٧م.

وتوالى الطبعات بعد ذلك، وكانت أحدثها مسودة للكتاب بخط المقرئى نفسه قام بتحقيقها الأستاذ الدكتور أمين فؤاد سيد ونشرت فى مجلد واحد سنة ١٩٩٥، ثم صدرت طبعة مكتبة مديوبلى للخطوط فى ثلاث مجلدات سنة ١٩٩٨م.

ب- كتب التراجم:

١- «كتاب القفى الكبير» - وهو تاريخ الأمراء والكبراء الذين حكموا مصر وعاشوا فيها، مرتب على حروف المعجم، وكان يقدر له أن يخرج فى ثمانين مجلداً ولكن لم ينجز منه إلا ستة عشر مجلداً وتوفى قبل أن يتم. وهو مطبوع الآن فى ثمانى مجلدات.

٢- «دور العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المشيدة» - ولا توجد منه إلا نسخة

(١) سوف نتناول أشهر الطبعات حيث يميز المجال هنا عن ذكر كل الطبعات.

وموضوعها، ولذا فقد صنفناها وذكرناها موجزة كما يلي:

١- رسائل المشكلات السياسية والتاريخ:

١- «النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، وقد طبع عدة مرات، كانت آخر طبعته المحققة طبعة دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٨٤، والتي حققها د. حسين مؤنس.

٢- «فضوء الساري في معرفة أخبار نجيم الداري، وتوجد منه نسخة خطية في المتحف البريطاني، ومخطوطة أخرى في باريس بالمشكلة الأهلية ضمن

مجموعة رسائل القرظري^(١).

٣- «الإشارة والكلام ببناء الكعبة بيت الله الحرام، ومختصره^(٢).

٤- «الإمام بأخبار من بارض الحبشة من ملوك الإسلام، طبع بمطبعة التأليف بمصر سنة ١٨٩٥ م.

٥- «الطريقة الغربية في أخبار حضرموت المجية، وهو مطبوع وتوجد منه نسخة بدار الكتب وقد نشره نوسكوي P.B. NOSKOEY مع ترجمة لاتينية (يون ١٨٦٦ م)^(٣).

٦- «أخبار قبط مصر، وهو في تاريخ الأقباط مستخرج من كتاب المواظ والاعتبار^(٤).

أ- نشره - هماكر H.A.HAMAKER (استردام ١٨٢٤ م).

ب- نشره - وستفيلد F. WUSTENFELD (جوتة ١٨٤٥ م).

ب- رسائل تخص سير وتراجم الملوك:

١- «تراجم ملوك الغرب»، وهو ما يزال مخطوطاً.

(١) وتوجد منه نسخة مطبوعة أصدرتها دار الاعتصام بالقاهرة قام بتحقيقها د. محمد أحمد عاشور. القرظري: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٤٥٩، وفيه ثبت عن مؤلفات القرظري ص ٤٥٩ - ٤٥٣.

(٢) يوجد منه نسخة بخط المؤلف في دار الكتب الظاهرية يدمش تحت رقم ٤٨٠٥، وتوجد نسخة في ليدن رقم ٩٤٢. القرظري: المرجع السابق: ص ٤٥٥.

(٣) القرظري: المرجع نفسه: ص ٤٥٧.

(٤) القرظري: المرجع نفسه: ص ٤٥٣.

١- «الخبر عن البشر» - وقد قال القرظري عنه إنه «جعل مدخلاً لكتابه إمتاع الأسماع» وتكلم فيه عن المخلوقات وكيفية خلق السموات والأرض والكواكب وأشكالها وحركاتها والأرض وتقسيمها وكيفية خلق آدم واختلاف لغات ذرياته. ودار الكتب المصرية منه ستة أجزاء تقع في ست عشرة مجلداً^(١)، ومنه نسخة خطية في (ليدن) (رقم ١٠٨٠)^(٢).

وقد نما إلى علمنا أن الدكتور محمد بيومي مذكور الأستاذ بجامعة المنيا قد حققه وإن كان لم ينشر بعد...

٢- «إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأحوال والخلة والنفع».

وقد قام بتحقيقه العلامة محمود محمد شاكر وطبع في بولاق سنة ١٩٨٤ م، وتوجد منه طبعة أخرى حققها محمد عبد الحميد النسيبي وراجعها د. محمد جميل غاري لم يصدر منها إلا الجزء الأول عن دار الانصار بالقاهرة ١٩٨١ م.

٣- «الدور المضنية في تاريخ الدولة الإسلامية» - يتحدث فيه عن التاريخ الإسلامي من مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وحتى المستعصم آخر خلفاء بغداد^(١). سارال هذا الكتاب مخطوطاً، ومنه نسخة خطية في كمبريدج رقم (٣٠٥).

ثانياً: الرسائل الصغيرة:

رسائل القرظري كثيرة وفي غاية الأهمية، وقد كتب القرظري معظمها في أواخر حياته بعد أن ازداد نضجاً وإطلائاً، وهي رسائل متعددة الأهداف تطرقت إلى شتى فنون العلم والأدب، ويضيق المجال هنا عن ذكر كل رسالة

(١) القرظري: انعاظ الحنفيا: مقدمة د. الشيال ص ٢١.

(٢) د. محمود رزق سليم: المرجع السابق: ج ٣ ص ٣٢١.

(٣) القرظري: إمتاع الأسماع: ج ١ تحقيق: محمد عبد الحميد النسيبي ص ٤٥٥.

(٤) د. محمود رزق سليم: المرجع السابق نفس الجزء، نفس الصفحة.

• «الذهب المسبوك يذكر من حج من الخلفاء والملوك» حققه د. جمال الدين زيبال ونشر سنة ١٩٥٦م.

• «فرض سيرة المؤيد لابن ناعض» لا زال مخطوطاً.

١- «منتخب التذكيرة» وفيه جملة من تاريخ الأعيان والملوك وأسابيع وحوادثهم... إلخ مبتدئاً بقصة آدم عليه السلام وروية حسب السنين. ومنه نسخة خطية بدار الكب المصرية بالتصوير الشمسي^(١) وهي تحت رقم ٣٦٨/٥ في فهرس الدار.

ج- رسائل تخلص بعض النواحي الاقتصادية والاجتماعية:

١- «شذور المفقود في ذكر النقود» وقد حقق عدة مرات، كان آخرها تحقيق الأستاذ الدكتور رأفت النبراوي في مجلة المصور بالرياض سنة ١٩٨٨.

٢- «الأكيال والأوزان الشرعية» نشر Tychsen - Rostock ١٨٩٨م - ألمانيا.

٣- «النقود القديمة والإسلامية» وقد طبع ثلاث طبعات - طبعة الأمانة ١٢٩٨هـ. ونشره الأب أنستاس الكرملي في كتابه «النقود العربية الإسلامية وعلم النميات» سنة ١٩٣٩م، ثم صدرت منه طبعة بالنجف بالعراق سنة ١٩٦٧م.

٤- «نحل جبر النحل» حققه ونشره د. جمال الدين الشيبال ١٩٤٦م. وأعاد تحقيقه د. السيد الجميلي و.أ.د. أحمد عبد الرحيم السيد.

٥- «البيان والإعراب عمّا بأرض مصر من الأعراب» طبع عدة مرات أحدثها الطبعة التي أصدرتها دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية سنة ١٩٨٨م وقام بتحقيقها د. عبد المجيد عابدين.

٦- «إغاثة الأمة بكشف الغمة» وهو الكتاب الذي تقدّم له، وقد صدرت منه ثلاث طبعات سنذكرها بالتفصيل في موضعها من المقدمة.

(١) د. محمود رزق سليم: المرجع السابق ج ٣ ص ٣٢٢.

د- الرسائل العلمية:

١- «النمل وما فيه من غرائب الحكمة» - مخطوط.

٢- «الإشارة والإيماء إلى حل لغز الماء» مخطوط، ومنه نسخة في كامبردج تحت رقم ١٠٨٢^(١).

٣- «المقاصد النبوية في معرفة الأجسام المعدنية» مخطوط ومنه نسخة ضمن مجموعة رسائل المقرئ يرمي بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة مصورة عن نسخة المكتبة الأهلية بباريس وهي تحت رقم ٤٩٨ تاريخ غير مفهرس).

هـ- رسائل دينية:

١- «البيان المفيد في الفرق بين الإيمان والتلجيد».

٢- «معرفة ما يجب لأهل البيت من الحق على من عداهم» تحقيق د. محمد أحمد عاشور، صدر عن دار الاعتصام سنة ١٩٨٠م.

٣- «تجريد التوحيد المفيد» مطبوع^(٢) في القاهرة ١٣٤٣هـ.

٤- «مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر» والكتب الثلاثة لأبي عبد الله محمد المروزي المتوفى سنة ٢٩٤هـ^(٣).

٥- «حصول الأنعام والمير في سؤال خاتمة الخير» مخطوط ومنه نسخة خطية في «نور عثمانية» تحت رقم ٤٩٣٧/١٤.

٦- «الأخبار عن الأعداء» مخطوط ولكن لا يعرف إن كان موجوداً أو فقد.

٧- «شوارع النجاة» ويشتمل على جميع ما اختلف فيه البشر من أصول دياناتهم وفروعها مع أدائها، وتوجيه الحق فيه، ولكنه مفقود للأسف^(٤).

وله مؤلف ضخم مفقود وهو كتاب «جميع الفرائد ومنبع الفوائد».

(١) المقرئ: المرجع السابق ص ٤٥٧، كما توجد نسخة ضمن مجموعة رسائل المقرئ في المكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ٤٦٥٧.

(٢) د. محمود رزق سليم: المرجع السابق ج ٣ ص ٣٢٢.

(٣) د. محمود رزق سليم: المرجع السابق منه ونفس الصفحة.

(٤) المقرئ: انما طبعها ج ١ مقدمة د. زيبال ص ٢٢.

٤ - عصر القرينى

سبق أن ذكرنا فى الترجمة لحياة القرينى أنه ولد سنة ٧٦٦ هـ، ونرمو عم ٨٤٥ هـ، فهو قد عاش إذن تسعة وسبعين عاماً؛ وهو عمر شديد طوله كثير من الأحداث، وتقلب خلال على مناصب الدولة، وكثير من المعاصر دولة والحلفاء والقادة والأمراء... عاش القرينى جانباً من حياته؛ معاصر دولة المماليك البحرية، كما عاش شطراً الآخر فى عهد دولة المماليك البرجية (الجراسية)؛ وهما دولتان من الدول الكبرى التى تحكم فى تاريخ مصر لفترة تصل إلى ما يقرب من ثلاثة قرون؛ حيث امتد حكم الأولى مائة وستة وثلاثين عاماً (٧٨٤ - ٧٨٤ هـ)، وامتد حكم الثانية مائة وتسعة وثلاثين عاماً (٧٨٤ - ٩٢٣ هـ)، وتعاقب على حكم الأولى خمسة وعشرون سلطاناً، وفى الثانية ثلاثة وعشرون سلطاناً^(١).

السلطين الدين عاش القرينى فى عصرهم:

أولاً: سلطين دولة المماليك البحرية:

- ١ - الأشرف ناصر الدين شعبان بن حنين (٧٦٤ - ٧٧٨ هـ).
- ٢ - المنصور علاء الدين على بن شعبان (٧٧٨ - ٧٨٣ هـ).
- ٣ - الصالح أمير حاج بن شعبان^(١) (٧٨٣ - ٧٨٤ هـ) سلطنة أولى.
- ثانياً: سلطين دولة المماليك الجراكسة:
- ٤ - الظاهر سيف الدين برفوق (٧٨٤ - ٧٩١ هـ) سلطنة أولى.
- ٥ - المنصور ناصر الدين حاجو (٧٩١ - ٧٩٢ هـ) السلطنة الثانية (سلطان بحرى).
- ٦ - الظاهر سيف الدين برفوق (٧٩٢ - ٨٠١ هـ) السلطنة الثانية.
- ٧ - الناصر فرج بن برفوق (٨٠١ - ٨٠٨ هـ) السلطنة الأولى.

(١) د. سعيد عاشور - عصر المماليك من عصر والشام ص ١٥٩.

٣ - أسلوب القرينى

القرينى مؤرخ، وكاتب أدب ينجح فى كتاباته إلى القص وعدم التمنى، ولا الشائى فى اختيار الألقاظ إلا ما دل على المعنى، ولو أدى ذلك إلى استعمال كلمات عامية أو دخيلة، أو عبارات مضطربة. وأكثر ما داخل كلامه تلك الألفاظ التى شاعت فى الرسميات، أو جرت على ألسنة العامة بإطلاقتها على معانٍ غير معانيها، ويكرر أحياناً جملةً لشيئها والتذكير بما فيها، وقد يختم فصوله بآيات قرآنية أو بيت شعري.

أما كتابته الأدبية^(١) فيوضح فيما كبه فى خطب مؤلفاته أو فى السطور الأولى من فصوله أنه ينجح للسجع والطباق والتورية والجناس؛ ومن ذلك ما نراه جلياً فى مقدمة كتابه المخطوط:

وإن علم التاريخ من أجل العلوم قدراً وأشرفها عند المقلاء مكانة وخطراً لا يحويه من المواظ والإنذار، بالرحيل إلى الأخرى عن هذه الدار، والاطلاع على مكارم الأخلاق ليقضى بها، واستعلام مذام الفعالي ليرغب عنها أولو النهى؛ لا جرم أن كانت الأنفس الفاضلة به راقية، والهمم الغالية إليه مائلة وله عاشقة... إلخ^(٢).

ويذكر السخاوى أن القرينى كان ينظم للشعر^(٣)، ومن شعره فى دمياط:

سقى عهد دمياط وحياءً من عهدٍ فقد زادنى ذكراً وجداً على وجدى
ولا زالت الأنواء تنقى مسحاتها دياراً حكّت من حُسْنِها جنةً الخلد

(١) د. محمود رزق سليم: المرجع السابق ج ٣ ص ٣٣٢، ٣٣٣.

(٢) القرينى: المواظ والاعتبار: طعة بولاق ص ٢.

(٣) د. محمود رزق سليم: المرجع السابق ص ٣٣٤.

- ٨ - النصور عبد العزيز (٨٠٨ هـ) تولى السلطة شهرين
- ٩ - الناصر فرج بن برفوق (٨٠٩ - ٨١٥ هـ) السلطة الثانية.
- ١٠ - الخليفة المستعين بالله (٨١٥ هـ).
- ١١ - المؤيد شيخ الحمودى (٨١٥ - ٨٢٤ هـ).
- ١٢ - الظفر أحمد بن المؤيد (٨٢٤ هـ).
- ١٣ - الظاهر سيف الدين ططر (٨٢٤ هـ).
- ١٤ - الصالح محمد بن ططر (٨٢٤ هـ).
- ١٥ - الأشرف سيف الدين برسباى (٨٢٥ - ٨٤١ هـ).
- ١٦ - العزيز يوسف بن برسباى (٨٤١ - ٨٤٢ هـ).
- ١٧ - الظاهر سيف الدين جقمق (٨٤٢ - ٨٥٧ هـ).

توفى القرزى ٨٤٥ هـ، أى أن القرزى تعاقب على الحكم فى الفترة التى عاشها أربعة عشر سلطاناً؛ منهم الخليفة المستعين بالله الذى كان مجرد ستر يتحرك خلفه المؤيد شيخ؛ حتى تستقر الأمور ويلى هو السلطة بدلاً منه. وكان عصر القرزى ذائراً بالأحداث المتروعة والتيرة التى كان أهمها ظهور دولة جديدة؛ (دولة المماليك الجراكسة)، وانهيار دولة المماليك البحرية. ومن أهم الأحداث التى وقعت فى الفترة التى عاشها^(١):

- ١ - فى سنة ٧٦٧ هـ - ١٣٦٥ م قام القبارصة باحتلال الإسكندرية وخربوا فيها وسبوا النساء وأسروا الرجال.
- ٢ - فى سنة ٧٩٥ هـ استولى تيمور لك على بغداد وبعض البلاد التابعة لسلطنة المماليك؛ مثل ماردين.
- ٣ - فى سنة ٧٩٧ هـ - خرج السلطان الظاهر برفوق لمحاربة المغول بقيادة

(١) د. سعيد عاشور: مصر فى العصور الوسطى ص ٤٩٣، ٥٠٦، ٥٠٩، ٥١١، ٥١٢.

- تيمور لك، ولكن تيمور لك عاد إلى بلاده؛ فعاد برفوق إلى القاهرة.
- ٤ - فى سنة ٨٠٣ هـ - دخل المغول دمشق بعد أن استلمت لهم ودمروها.
- ٥ - فى سنة ٨٠٥ هـ خزم تيمور لك السلطان بايزيد الشمانى فى موقعة أنقرة.
- ٦ - فى سنة ٨٢١ هـ قام السلطان المؤيد شيخ بحملة على طرطوس، وأخضع أمراء التركمان.
- ٧ - فى سنة ٨٢٢ هـ أرسل المؤيد شيخ ابنه إبراهيم بحملة على أمراء التركمان؛ لنقضهم للشروط التى تعهدوا بها.
- ٨ - فى سنة ٨٢٩ هـ قام السلطان الأشرف برسباى بإرسال حملته الثالثة التى نجحت فى غزو جزيرة قبرص، وحرمة الملك جانوس - ملك قبرص - عند «خبروكنا».

أما عن المجتمع فى عصر القرزى؛ فلم تكن فيه أية صلة بين الحاكم والمحكوم سوى صلة الدين؛ فالحاكم يقدم المحافظة على كرسى الحكم على أى شىء حتى لو كان مصالح الشعب المحكوم، ولن تتوسع فى ذكر الأحوال الاقتصادية والاجتماعية؛ لضيق المجال هنا عن ذكرها.

٥ - كتاب «إغاثة الأمة بكشف الغمة»

١ - الكتاب وأصوله:

أولا المخطوطات:

١ - نسخة ضمن مجموعة من مؤلفات المقرئى الصغرى بمكتبة ولى الدين بجامع بايزيد باستانبول تحت رقم (٣١٩٥) تاريخ وكسبت ١١٠١ هـ. ومجموعة هذه الرسائل يوجد نسخة منقولة عنها بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٦٢٤٧ وعدد أوراقها ٢٠١ ورقة، وهذه النسخة مكتوبة بالخط الفارسى وهى واضحة الخط.

وقد قام بنسخها محمد القطرى خطيب جامع المرحوم مصطفى باشا الوزير بشعر جده.

٢ - نسخة بدار الكتب المصرية ضمن مجموعة رسائل لعدة مؤلفين تحت رقم ٧٧ مجاميع.

٣ - نسخة مكتبة الجامعة بكامبردج تحت رقم (2 - 746)، وتاريخ كتابتها سنة ١١١٢ هـ.

٤ - نسخة بمكتبة عاطف أفندى باستانبول.

٥ - نسخة فى مكتبة مسجد نور عثمانية.

٦ - نسخة ضمن مجموعة رسائل المقرئى بالمكتبة الأهلية بباريس. وهذه الرسائل يبلغ عدد صفحاتها ٢٦٦ ورقة يبدأ كتابنا فيها من ص ١ إلى ٧٦، وبها الكثير من الأجزاء المتأكلة، ونلاحظ أن غرة المخطوط (الصفحة الأولى)، والتي بها اسم الكتاب - غير موجودة.

ومن هذه النسخة يوجد نسختان منقولتان على ميكروفيلم، وهاتان النسختان فى:

١ - مكتبة جامعة الإسكندرية تحت رقم ٢٣١٠ ب.

ب - نسخة بمكتبة المخطوطات العربية تحت رقم ٤٩٦ تاريخ غير مفهرس.

ثانياً: طبعات الكتاب:

١ - الطبعة الأولى منه طبعة لجنة التأليف والترجمة سنة ١٩٤٠م، وقد قام بتحقيقها كل من د. جمال الدين الشبال، ود. محمد مصطفى زيادة، وقد قام الأستاذان بتحقيق الكتاب معتمدين على ثلاث مخطوطات، وصدر الكتاب فى ست وثمانين صفحة، بهامشها تعليقات الاستاذين غير الفهارس، ووضعوا له مقدمة فى ثمانى صفحات.

٢ - طبعة دار ابن الوليد بسوريا (عن طبعة لجنة التأليف والترجمة)، وقد صدرت هذه الطبعة سنة ١٩٥٦م، وقام د. بدر الدين السباعى بوضع مقدمة وافية عن المؤلف وحياته والعصر الذى عاش فيه والكتاب وأهميته. وهذه المقدمة تقع فى ٢٧ صفحة من أ إلى ظ، وصدر هذا الكتاب فى ٨٧ صفحة وبدون فهرس.

وقد تجنب فيه بعض الأخطاء المطبعية التى وقعت فى طبعة لجنة التأليف والترجمة.

٣ - الطبعة الثانية وصدرت عن لجنة التأليف والترجمة سنة ١٩٥٧م، وقد قدم لهذه الطبعة د. حسين فهمى فى ست صفحات، وبهذه الطبعة أيضاً الكثير من الأخطاء المطبعية.

وقد اعتمدنا فى عملنا بهذا الكتاب على الطبعة الثانية من طبعة لجنة التأليف والترجمة، ورمزنا لها بالنسخة (ل)؛ أى لجنة التأليف والترجمة. وعلى نسخة سوريا ورمزنا لها بالنسخة (و)؛ أى نسخة دار ابن الوليد.

ولشروع نسخة لجنة البيان؛ ذكرنا أوائل صفحاتها مشاراً إليها فى المتن بالعلامة (/).

أهمية الكتاب

لهذا الكتاب - على صفه - أهمية قصوى؛ حيث يعتبر المؤلف المستقل الوحيد الذي تناول تاريخ المجاعات والأزمات في مصر من العصور القديمة حتى سنة ٨٠٨ هـ. ومن مميزات هذا الكتاب أن حواثه مرتبة وفق الترتيب الزمني.

ولكن هذا لا يعني أن المقرئ وحده هو الذي أشار إلى هذه الحوادث في هذا الكتاب؛ إذ أشار إليها كثير من المؤرخين، ولكنها لم تأخذ شكلاً مستقلاً؛ بل كانت فصولاً في كتبهم، أو مفرقة في أجزاء الكتاب وفقاً للسنين؛ فتجد السيوطي يفرّد فصلاً في كتابه وحسن الحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ويخصصه لهذا الغرض، وسماء وذكر الحوادث الغريبة الكائنة بمصر في ملة الإسلام من غلاء ووباء وولاول وآيات وغير ذلك^(١).

وكذلك نجد ابن تغري بردي يورد كثيراً من الأخبار عن هذه المجاعات مفردة في فصول كتابه «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة»، وكذلك ابن ياسين في كتابه «بدائع الزهور في وقائع الدهور».

كما نجد أن ابن حجر العسقلاني له كتاب مستقل سماه «بذل الماعون في فضل الطاعون»، وذكر هذا الكتاب ابن ياسين في بدائعه^(٢).

ولكن المقرئ امتاز في هذا الكتاب بين:

- ١ - تسلسل الحوادث واتصالها.
- ٢ - الدقة في بيان أسباب هذه الحوادث.
- ٣ - ذكر بعض حوادث الغلاء في الأقطار الإسلامية المجاورة في خلال حديثه عن بعض ما وقع من الأزمات والغلاء في مصر.
- ٤ - كان أكثر تفصيلاً من غيره في وصف حالة الناس في فترة الغلاء من الذعر والحزن، ووصف ما كان يقوم به الأمراء والسلاطين لحل المشاكل وتخفيف حدة الأزمة والتفريج عن الشعب^(٣).

(١) السيوطي: حسن الحاضرة، في تاريخ مصر والقاهرة: ج ٢ ص ٢٤١، ٢٧٢.

(٢) د. محمود رزق سليم: عصر سلاطين المليك ونتائج العلم والأدب ج ٣، ص ٣٢٠.

(٣) د. محمود رزق سليم: المرجع السابق ج ٢ نشر العلمنة.

٥ - لم يقتصر في كتابه على حوادث عصره فقط؛ بل أרך للأزمات والمجاعات منذ القدم؛ معتمداً على ما كتبه سابقوه من المؤرخين؛ كابن وصيف شاه.

٦ - ربط حالة النقد والعمليات بالحالة الاقتصادية، وأنها كانت سبباً في حدوث الكثير من الأزمات.

فصول الكتاب كما قسمها مؤلفه:

قسم المقرئ كتابه إلى مقدمة وثمانية فصول، وسوف أتناول فيما يلي كل فصل في نبذة موجزة توضح ما أورده المقرئ فيه:

١ - مقدمة الكتاب أو خطبته وبيدأها بالصلاة على النبي ﷺ والجملة، ثم ينتقل إلى ذكر الأسباب التي جعلته يؤلف هذه الرسالة، وينتهي هذه المقدمة بآية قرآنية^(١).

٢ - الفصل الأول أو فصل في ذكر مقدمة حكيمية تشتمل على قاعدة كلية حيث يذكر المقرئ فيه بعض الأشياء التي يشير بها إلى عدم صبر الناس وبأسهم، وأن الإنسان يعتقد أن ما يحدث له في موقف هو شيء أصعب مما مر عليه سابقاً، وأن الناس تصدر الأحكام المطلقة. وأعطى لذلك مثالين^(٢).

وخرج في النهاية بنتيجة؛ وهي «أن المسموع الماضي لا يكون أبداً موقوعاً من القلوب موقع الموجود الحاضر في شيء من الأشياء، وإن كان الماضي كبيراً والحاضر صغيراً؛ لأن القليل من المشاهدة أكثر من الكثير بالسماع».

ويتضح في هذا الفصل تأثير المقرئ بأستاذه عبد الرحمن بن خلدون.

٣ - الفصل الثاني - فصل في إيراد ما حل بمصر من الفلوات، وحكايات يسيرة من أتياء تلك السنوات

(١) انظر ص ٧ من هذا الكتاب.

(٢) انظر ص ٤ من الكتاب.

(٣) المقرئ: إجابة لأمة: النسخة (و) مقدمة د. بدر الدين السامعي ص ٤٨.

٥ - الفصل الرابع: ويكمل فيه الحديث عن النقد والعملية في مصر منذ الفتح الإسلامي وحتى عصر الظاهر برفوق، ويذكر فيه ما حدث من رواج الفلوس وأثره في الانقضاء والحالة المالية للناس؛ فنجدته يقول: «فسمات الظاهر وللناس ثلاث نقود أكثرها فلوس، وهو النقد الزايح الغالب، والثاني الذهب وهو أقل وجدانا من الفلوس، وأما الفضة فنقلت حتى بطل التعامل بها، لمعزتها».

ويضيف: «وعظم رواج الفلوس، وكثرت كثرة بالغة حتى صارت البيعات وقيم الأعمال كلها تنسب إلى الفلوس خاصة»^(١).

وكانت من أسباب هذه الأزمات أن الفلوس كانت تحمل قيمة اسمية تزيد كثيراً على قيمتها التجارية كعمدن نحاسي، فأدى الإكثار منها إلى تضخم نقدي أشبه بالتضخم النقدي الذي يحدث هذه الأيام عندما تكثر الدولة من إصدار الورق النقدي ذي القيمة الاعتبارية، ولما كان النقد في أساسه عبارة عن وسيط بين بضاعتين تكونان معللاً للتبادل، وكانت زيادة البضائع في المجتمع تتطلب مبدئياً زيادة مماثلة في النقد، وكان اللجوء إلى الإكثار من النقد مع بقاء كميات السلع على حالها أو مع إنقاصها يؤدي إلى إيجاد قيم اصطلاحية لا واقع لها- فمن الطبيعي أن يمدد تقسيم النقود على كميات البضائع القائمة؛ مما جعل سعر البضاعة يزيد بالنقد؛ أي تهبط القيمة الشرائية للنقد، وترتفع أثمان البضائع.

والمقريزي هنا يقتررب من نظرية اقتصادية؛ وهي قانون جريشام القائل إن: «النقود الرديئة تطرد النقود الجيدة من التداول»^(٢).

والفلوس كانت نقداً رديئاً بالنسبة للدينار والدرهم فطردتها من السوق^(٣). وأيضاً ساهم المقريزي في وضع أسس النظرية الكمية والتي تطورت إلى أن صاغها العالم فيشر عام ١٩١١م.

وسا نراه في الفصل الثالث والرابع أصل كتاب المقريزي «النقود القديمة والإسلامية».

(١) انظر ص ٦٢ من الكتاب

(٢) انظر الأمانة المقدمة و ملأ الدين السامعي من ث. ت

حتى تاريخ ترتيب هذه المقالة سنة ٨٠٨ هـ، وكان يذكر أسباب المجاعات والأزمات سواء كان قصور النيل أو آفات أو رياح أو ضعف سلطة.

٤ - الفصل الثالث - فصل في بيان الأسباب التي نشأت عنها هذه المحن التي نحن فيها حتى استمرت طول هذه الأزمان.

حيث يذكر الأسباب الاجتماعية والاقتصادية التي نجمت عنها حوادث هذا الغلاء في تفصيل دقيق، ويرجمها إلى ثلاثة أسباب لا رابع لها؛ وهي^(١):

١ - انتشار الرشوة بين طلاب الوظائف، ويعتبره المقريزي أصل الفساد وأول سبب فيه؛ فنجدته يذكر «السبب الأول، وهو أصل الفساد الخبط السلطانية والمناصب الدينية بالرشوة كالوزارة والقضاء ونيابة الأقاليم وولاية الحسبة وسائر الأعمال؛ بحيث لا يمكن التوصل إلى شيء منها إلا بالمال الجزيل»^(٢).

ب - ارتفاع أثمان الأراضي الزراعية وإيجارها؛ نتيجة لرغبة خدام الأمراء في التقرب إليهم بهذا العمل الظالم، فهجر الفلاحون الأراضي، وقلت المحاصيل^(٣).

ج - اضطراب النقد ورواج الفلوس.

وقد تحدث في هذا الفصل عن النقود والعملات المتداولة وتاريخها منذ المصور القديمة ومرورا بالمصور الإسلامية وكيفية تعريب النقود في عهد عبد الملك بن مروان وأسبابها^(٤) وتاريخ العملات وأنواعها في المصريين الأموي والمباسي، ويكمل حديثه عن النقود في الفصل التالي له، ونلاحظ في هذا الفصل أيضاً الروح العلمية التي تتميز بها المقريزي.

(١) انظر ص ٣٨ - ٤٢ من الكتاب.

(٢) انظر ص ٤٠ من هذا الكتاب.

(٣) انظر ص ٤٢ - ٥٥ من هذا الكتاب، د. محمود ورق سليم - عصر سلاطين المماليك ج ٣ ص ٢٣

(٤) انظر ص ٥٥ من هذا الكتاب.

فقدت به الأموال، واختلكت به الأحوال وآل أمر الناس بسببه إلى الزوال، وأشرف من أجله الإقليم على الدمار والاضمحلال...^(١)

٨- الفصل السابع - فصل فيما يزيل عن العباد هذا الداء ويقوم لرؤس الزمان مقام الدواء ويعرض فيه الحل الذي يراه مناسباً للقضاء على هذه الأزمات.

٩- الفصل الثامن - فصل في بيان محاسن هذا الداء ويرى العائد نفعه على الجم الغفير ويعرض فيه مميزات الحل الذي وضعه للحد من هذه الأزمة وقوائدها هذا الحل، ويجعل فوائده الحل الذي ذكره في نقطتين^(٢).

وينتهي الكتاب بذكر تاريخ الفراغ منه سنة ٨٠٨ هـ.

والحمد لله رب العالمين

ياسر سيد صالحين

القاهرة في غرة المحرم ١٤٢٠ هـ

١٧ أبريل ١٩٩٩ م

(١) م ١٧ من ١٧٠٠ هـ.

(٢) م ١٧ من ١٧٠٠ هـ.

٦- الفصل الخامس. فصل في ذكر أقسام الناس وأصنافهم وبيان جمل من أحوالهم وأوصافهم. في هذا الفصل قسم الناس بمصر على سبعة أقسام وبين أثر هذه الأزمات على كل قسم منها. وهذه الأقسام كانت:

١- أهل الدولة الذين تكثر أموالهم لزيادة خراج الأرض، ويرى القريري أن هذه الزيادة صورية؛ لاختلاف القوة الشرائية بين العملة الجديدة والعملة القديمة التي كانت قبل هذه الأزمات.

٢- مياسير التجار وأولو النعم والترف وهم الذين استفادوا من ارتفاع السعر. ويرى القريري أيضاً أن هذه الزيادة كانت صورية.

٣- أصحاب الحال المتوسطة من التجار وأصحاب المعاش؛ وهم السوق، ويعيشون عما يتحصل لهم من الربح؛ فليس لهم ولا عليهم.

٤- أصحاب الفلاحة والحراث؛ وهلك معظمهم ولكن التصرفين منهم بالأراضي الواسعة قد اغتروا.

٥- الفقهاء وطلاب العلم وأجناد الحلقة - عظم يؤسهم واشتدت أحوالهم ففهم ما بين ميت أو مشته للموت؛ لسوء ما حل بهم^(١).

٦- أصحاب الصنائع وأرباب المهن ومعهم الأجراء والخماليون والخدم والسواس والفلة، ويذكر القريري أن أجرتهم قد تضاعفت كثيراً.

٧- أهل الخصاصة والسكنة الذين لا يملكون شيئاً فقد مات معظمهم جوعاً ويرثوا ولم يبق منهم إلا القليل.

٧- الفصل السادس - فصل في ذكر نذ من أسما لنا الزمن، وإيراد طرف من أخبار هذه الحق.

ويوضح فيه القريري ارتفاع الأسعار في كل شيء ١٠ من مأكلاً وملبس، ويرجع ذلك إلى كثرة رواج الفلوس؛ فتجده يذكر: «قسم نظر إلى أثمان المبيعات باعتبار الفضة والذهب لا يجدها قد غلت إلا شيئاً يسيراً، وأما باعتبار ما دهم الناس من كثرة الفلوس فأمر لا أشنع من ذكره ولا أفتح من هوله،

(١) انظر ص ٦٦ من الكتاب

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . الحمد لله مصرف الأمور بحكمته، ومُحرّرها كيف يشاء بقدرته ؛ أنعم على قوم فأوقفهم على ما حقني من بديع صنعه ، ووقفهم لأبجاع ما دّرس^(١) من شريعته ، وآتاهم بياناً وحكماً ، وأهداهم معارف وعلماً ، وأيدهم في أقوالهم وسددهم^(٢) في أفعالهم ، حتى يتشكروا للناس أسباب ما نزل من الخن ، وعرفتهم كيف الخلاص مما حل بهم من جليل الفتن .. وأضلّ آخرين فأكثروا في الأرض الفساد ، وأملى لهم حتى أهلكوا بظلماتهم العباد والبلاد ، واستدرجهم من حيث لا يشعرون ؛ فهم في ضلالهم يعمهون ، ويباطلهم يفرحون ، ولعماد الله يُنذرون ، وعن عبادة ربهم يستكثرون . أخذته حمد عبد عَرَفَ قدر آئمه الله عليه فعمز عن شكرها ، وعلم أن الأمور من الله ومرجعها إلى الله ، فاعتمد عليه في تسير عسرها .

وصلّى الله على نبينا محمد الذي هدى الله به العباد ، وأزال بشرته الجور والفساد ، وعلى آله وأصحابه ، وأوليائه وأحبابه ، صلاة لا ينقطع مددها ، ولا يُحصى عددها .

وبعد .. فإنه لما طال أمد^(٣) هذا البلاء المبين^(٤) ، وحل فيه بالخلق أسوأ العذاب المهين ، ظلّ كثير من الناس أن هذه المحسن لم يكن فيما مضى مثلاً

(٥) كل ما بين قوسين | لم يورث إضافة من الناس .
(٦) العلامة (١) يشير إلى أوائل الصفحات في النسخة (د) .
(١) أي فصحى وقد لباعه .
(٢) أي وقطعهم .
(٣) مدة و زمن .
(٤) يشير التعريزي إلى نسخة عام ٨٠٨ هـ .

فصل د/ في ذكر مقدمة حكمية تشتمل على قاعدة كلية

اعلم - أيها الله بروح من ، ووفقك إلى الفهم - أنه لم تزل الأمور السالفة كلما كانت أصعب على من شاهدها ، كانت أطرف عند من سمعها . وكذلك لا تزال الحال المستقبلة تتصور في الوهم خيراً من الحالة الحاضرة ؛ لأن ثلاثة الحالة الحاضرة تزين في الوهم الحالة المستقبلة ؛ فلذلك لا يزال الحاضر أبداً منقوصاً حتى محدوداً قدره ؛ لأن القليل بين شره يبرئ كثيراً ؛ إذ القليل بين الشاعلة أرسخ من الكثير من الخير ، وإذا متاسة اليسر من الشدة أشق على النفس من تذكر الكثير مما سلف منها ؛ مثال ذلك شخص أرقه البراغيث ليلة ، فتذكر بذلك ليالي ماضية أرقه فيها حرارة الحمى ؛ فغتر ذي شك أن توهم تلك الحمى ، وتذكر تلك الأيام الماضية ، أحف عليه من ديب البراغيث على جسمه في وقت ذلك . ولا حرم^(١) أن هذا الحال وإن كان هكذا موقعه في الوقت الحاضر من الجس ، فليس كذلك حكمه في الحقيقة ؛ لأنه لا يقدر أحد أن يثبت القول بأن ديب البراغيث على الجسم وفرصتها أنكى من حرارة الحمى ، وأن السهر في

حال الصحة أشد من السهر على أسباب النية .
ولما كانت الحالتان هكذا في التخليل ، وجب علينا أن نسلم للقاتلين الذين ضاعوا ذرعاً بخواتم زمتهم على ما زعموه بين أن هذه الحوادث صعبة عليهم ، ولا نسلم لهم ما جاوزوا به الحد من ادعائهم أنها في المقارنة والقياس / أصعب من التي مضت . مثاله لو أن رجلاً قام من فراشه وهو يحصر في بعض أيام النساء

(١) لا حرم

ولا مر في زمن شهبها ، وتجاوزوا الحد فقالوا لا يمكن زوالها ، ولا يكون أبداً عن الخلق / انقصالها ؛ وذلك أنهم قوم لا يفقهون ، ولأصابت الحوادث جاحلون ، ومع العوائد والقنون ، وبين روح^(٢) الله أيسون . ومن تأمل هذا الحادث من بدايته إلى نهايته ، وعرفه من أوله إلى غايته ، علم أن ما بالناس سوى سوء تدبير الزعماء والحكام ، وغفلتهم عن النظر في مصالح العباد ، لا أنه كما مر من الغلوسات^(٣) ، وانقضى من السنوات المهلكات ؛ إلا أن ذلك يحتاج إلى إيضاح وبيان ، وينتضي إلى شرح وتبيان . فعزمت على ذكر الأسباب التي نشأ منها هذا الأمر العظيم ، وكيف عمادى بالبلاد والعباد هذا المصائب الشيع . وأختم القول بذكر ما ينزل هذا الداء ، ويرفع البلاء ، مع الإلحاح بطرف من أسرار هذا الزمن ، وإيراد تذييل مما غيّر من الغلاء والحن ؛ راجعاً من الله سبحانه أن يوفق من أسند إليه أمور عباد ، وملئكه مقاليد أرضه وبلاده ، إلى ما فيه سداد الأمور وصلاح الجمهور ؛ إذ الأمور كلها - قلها وحلها^(٤) - إذا عرفت أسبابها سهل على الخبير صلاحها ، والله المستعان على كل ما عرّ وهان^(٥) ، وهو يقول الحق وتهدي إلى سبيل السبيل .



(١) الروح : يفتح الراء المشددة : الرحمة .
(٢) جمع غلوة وغلاد : فيفيض الرخص .
(٣) قلها : يسرها ، حلها : حلها .
(٤) عز : صعب ، حل : سهل وسر .

فصل في إيراد ما حلَّ بِمَصْرَ من الغلوات وحكايات يسيرة من أنباء تلك السنوات

اعلم - حاط الله نعمتك وتوكل عصفك - أن الغلاء والرخاء ما زالا يتعاقبان في عالم الكون والفساد، منذ برأ الله الخليقة في سائر الأقطار وجميع البلدان والأمصار. وقد دونت قلّة الأخبار ذلك وبسطوا خبره في كتب التاريخ، وعزمي - إن شاء الله تعالى - أن أفرد كتاباً يتضمن ما حلّ بهذا النوع الإنساني من الحن والكوارث المنيعة، منذ آدم عليه السلام، وإلى هذا الزمن الحاضر، فإني لم أر لأحد في ذلك شيئاً مفرداً. وأذكر هنا جليل ما حلّ بمصر خاصة من الغلاء فقط، على سبيل الاختصار، والإضراب عن التطويل والإكثار. فأقول وبالله أستعين - فهو المعين - : قد ذكر الأستاذ إبراهيم ابن وصيف شاه^(١) في كتاب "أخبار مصر لما قبل الإسلام" وهو كتاب جليل/الفائدة رفيع القدر، أن أول غلاء وقع بمصر كان في زمن الملك السابع عشر من ملوك مصر قبل الطوفان واسمه أفروس بن مناوش الذي كان طوفان نوح عليه الصلاة والسلام في زمنه، على قول ابن هرّيب بن شهلوف. وكان سبب الغلاء ارتفاع^(٢) الأمطار وقلّة ماء النيل، فعمّمت أرحام البهائم، ووقع الموت فيها لما أراده الله سبحانه وتعالى من هلاك العالم بالطوفان.

(١) إبراهيم بن وصيف شاه : مؤرخ عثماني مصري وتوفي في تونس القرن السابع الهجري وله مؤلفات أخر هو : جواهر البحور ووقائع الأمور وعنايت الدول والأخبار الثمينة المصرية : لا زال مخطوطاً ويوجد منه نسخة في المكتبة المصرية ونسخة بمصنف المخطوطات العربية تاريخ نسخها ١٠٥١ هـ ومصر تحت رقم ٥٠٨ تاريخ غير مطبوع. والمكتبة فيه تاريخ مصر منذ العصر القديم وحتى دولة العثمانيين به زيادات لتاريخ مصر لما بعد الفتح العثماني، وهذه الزيادات مفصلة.

سخر^(١)، وبرز إلى رحاب داره، فرأى الأمطار نازلة والأرض بالماء قد امتلأت، فقال: هذا يوم شديد البرد، لكان ذلك من قوله غير مردود ولا متكرر؛ لأنه قال بما وجد في نفسه، وبما خرج عادة الناس أن يقولوه. فإن عجز عن احتمال ما وصل إلى حسه من البرد، ورجع إلى فراشه فالتحف، وقال: هذا اليوم - برده أشد من البرد الواقع ببلاد الروم والترك، لم تحضر هذه القالة، وعجّل قائلها في الضعف واللين والقرارة^(٢) بمسيرة نبات الحدود^(٣) وريقات المحصول^(٤)؛ بل أخرجه عن لحافه وثريه الأطنال وكيف يمزجون في تلك المياه ويلعبون بها، فيعلم إذا رأى ذلك أن الذي أطلب فيه من الشكاية لزماته ليس لإفراط شدة الزمان، لكنه لضعف صبره وقلة احتماله.

وسأذكر - إن شاء الله تعالى - من الغلوات الماضية ما يتضح به أنها كانت أشد وأصعب من هذه الحن التي نزلت بالناس في هذا الزمان بأضعاف مضاعفة، وإن كانت هذه الحنة مشاهدة وتلك خيراً.

واعلم أن المسموع الماضي لا يكون أبداً موقعاً من القلوب موقع الموجود الحاضر في شيء من الأشياء، وإن كان الماضي كبيراً والحاضر صغيراً؛ لأن القليل من المشاهدة أكثر من الكثير بالسماع (والله يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، وما يذكر إلا أولي الأبواب).

(والله يقول الحق وهو يهدي السبيل).

(١) سخرًا : وقت السحر، وهو آخر الليل قبل الفجر، وهو عند الأفاك بركة.

(٢) القرارة : حداثة السن والمقصود السذاجة.

(٣) نبات : جمع نبتة أي نبات، والخيزر : جمع خيزر وهو ستر يستر الثراء في ناحية من البيت.

(٤) ربات : صافات. الخيزر : جمع خيزر وهو خيزر.

ثم وقع غلاء في زمن فرعان بن مسور ، وهو التاسع عشر من ملوك مصر قبل الطوفان ؛ وسبه أن الظلم والمرح كثر حتى لم يذكره أحد ، فأحدثت الأرض وفاسدت الزروع ، وجاء بمقب ذلك الطوفان ، فهلك الملك فرعان وهو سكران ، وهو أول من سُمي باسم فرعان .

ثم وقع غلاء في زمن أتريب بن مصرم ، ثالث عشر ملوك مصر بعد الطوفان : وكان سبه أن ماء النيل توقف حربه مدة مائة وأربعين سنة ، فأكل الناس البهائم حتى فنت كلها . وسار الملك أتريب ماشياً ، ثم أضعفه الجوع حتى لم يبق به حركة سوى أن يسقط كفيه ويقبضهما من الجوع . فلما اشتد الأمر عليه ، وطال احتباس النيل ، وشغل الموت أهل الإقليم ، كتب أتريب إلى لادو بن سام بن نوح عليه السلام بذلك ، فكتب لادو إلى أخيه أرفخشذ بن سام فلم يجبه بشئ ، حتى بعث الله هوداً عليه السلام ، فكتب إليه أتريب يلتمس منه الدعاء برفع ما نزل بأرض مصر ، فأجابه هود عليه السلام : "إني أدعو لكم في يوم كذا ، فانظروا فيه حري النيل" .

فلما كان ذلك اليوم ، جمع أتريب^(١) آمن بني مصر من الرجال والنساء ، وهم قليل عددهم ، فدعوا الله تعالى وضحوا واستغاثوا إليه ؛ وكان ذلك عند انقضاء النهار في يوم الجمعة ، فأجرت الله سبحانه وتعالى النيل في تلك الساعة ، إلا أنه لم يكن عندهم ما يزرعونه . فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى هـرود عليه السلام أن امث إلى أتريب بمصر أن يأتي لحف^(٢) جبلها ، وليحفر مكان كذا ؛ فكتب هود إلى أتريب يُعلمه ، لجمع قومه وحفروا ، فإذا عتد^(٣) قد غُذرت بالرخاص ، وفتحها غلالاً كأنها وضعت حيثن ، وهي باقية في سبلها لم تُغذرس ؛

(١) ينكر الفرغزاني أن مدينة أتريب القديمة بناما هذا المكان . وموضع هذه المدينة شرقي بنها الحالية بالوجه البحري ؛ لما عظم الاعتناء بها من ١٧٥٠ سنة بولاق .
(٢) تنطق : أصل الحفر .
(٣) جمع عتد : وهو بناء على مدينة قوس ثم رمو حجارته بعتد تسكياً .

فحكوا ثمانية شهور في نقلها ، وزرعوا منها ونفثوا نحو خمس سنين . فأخبره أخوه صابر بن مصرم أن أولاد قايبل بن آدم عليه السلام لما انتشروا في الأرض وملكوها ، علموا أنه حادثة تحدث في الأرض ، فبوا هذا البناء ووضعوا فيه هذه الغلال . فزرعت مصير وأخصبت حتى بيع كل أردب^(١) بدقيق^(٢) ودام الرخاء مدة مائتي سنة .

ثم وقع الغلاء في زمن الملك الثاني والثلاثين من ملوك مصر بعد الطوفان ، وهو الثاني من ملوك العمالة ، وهو الثالث من الفراعنة في قول مؤرخي القبط . واختلف في اسم هذا الملك : فقبل اسمه لحراوس ، وقيل بل اسمه الريان بن الوليد بن درمخ العمليقي . وهذا الغلاء هو الذي دثر أمر البلاد فيه يوسف عليه السلام ، وقد ذكره الله سبحانه وتعالى في القرآن العظيم ، وتضمنته التوراة ، واشتهر ذكره في كتب الأمم الماضية والحالفة^(٣) ، فأغنى عن ذكره .

ثم وقع غلاء وحذب هلك في الزروع والأشجار . وقُذرت فيه الجبوب والثمار ، وعم الموت الحيوانات كلها ، وذلك عند مهث موسى عليه الصلاة والسلام إلى فرعون . وخبر هذا الغلاء مشهور في كتب الإسرائيليين وغيرهم ، وكفى إشارة إليه ودلالة عليه قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَدَثَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ ؛ وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّرَاتِ لَنَكَلَهُمْ بِذُكْرِهِمْ ﴾ .

(١) الأردب : في القاموس المحيط : مكيال مسمى بمصر يضم أربعة وعشرين صاعاً أو ستة وستين شمع منه أرنب . وهو يساوي أربعة مكيالات مصرية ويساوي ١٢٨ رطلاً . د . د . محمد ضياء الدين الراس : الحراج ولسط الدالية للتوراة الإلهية من ٣٣٠ : ٣٣٢ .
(٢) الدقيق : لفظ قديم في التسمية والأرمينية ، فسمته العرب في النهاية للدلالة على وزن معين وليس للذات أيضاً ، ثم استعمل في العصر الإسلامي كوزن قلته عشر حبات من الشعير أو أربعين حبة من الأرز أو ثلاثة قواريط أو ثمن قيراط .
محمد قنبل القتي : التعريف بمصطلحات صحيح الأعمش من ١٣٢ .
(٣) في (أ) : الخالية و مما بمعنى واحد أي الماسية .

١١ / ثم وقع بالأرض قبل بيعت النبي ﷺ أنواع من البلاء والخن عنت الممرور
من الأرض ، وخص مصر منها كثير من الغلاء ، ذكرناه في موضعه .

ثم جاء الله سبحانه بالإسلام ، فكان أول غلاء وقع بمصر في سنة سبع
ومائين [٨٧ هـ] من الهجرة ، والأمير يومتز بمصر عبد الله بن عبد الملك بن
مروان^(١) ، من قتل أبيه . فشاء به الناس ، لأنه أول غلاء^(٢) ، وأول شدة رآها
المسلمون بمصر .

ثم وقع غلاء في الدولة الإخشيدية في محرم سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة
[٣٣٨ هـ] ، والأمير يومتز أبو القاسم أنوجور بن الإخشيد^(٣) ، فثارت الرعية
ومنعه من صلاة الجمعة^(٤) في الجامع العتيق^(٥) .

ثم وقع غلاء في سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة [٣٤١ هـ] ، فكثر الفسار في
أعمال مصر ، وأتلف الغلات والكروم وغوها . ثم قصر النيل ، فنزع السمر في
١٢ / شهر رمضان . وفي سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة [٣٤٣ هـ] ، عظم الغلاء ، حتى

(١) عبد الله بن عبد الله بن مروان : تولى مصر من قبل أبيه عبد الملك بن مروان وذلك بعد وفاة عسه
عبد العزيز بن مروان الذي ولي هذا المنصب قبله ، ودخل عبد الله مصر في يوم أحد عشر جمادى الآخر
سنة ٨٦ هـ وكان عمره ٢٩ سنة وممن من حرب التولون بمصر ، وكانت لغتها قبل ذلك هي اللغة القبطية
وكانت مدة ولايته ثلاث سنين وعشر أشهر وحدثت الغلاء في عهده في سنة ٨٧ هـ فتشامم بسببها
وسمعه مكيسا ، ويذكر السقري أنه كان يترشي وعزل في سنة ٨٩ هـ .
السقري المواقط والأعتبار ج ١ ص ٨٥ . ط: الأكلب ، ابن عبد الحكم : فتح مصر وأخبارها ص
١٢٢ .

(٢) ينفرد سائرون بن السلق في كتابه " سمر الأبناء للظفرية " بذكر حدوث غلاء ومجاعة في مصر على
أيام عبد الله بن سعد ، ويذكر أنه كان غلاء عظيما لم يحدث مثله منذ زمن قلدبناكوس وليس لأبيه ،
ويذكر أن تاريخ حدوث هذه الأزمة هو سنة ٢٨ هـ . د . بركت التبرلي : الأزمات الاقتصادية والأزمات
في مصر ص ٣٧ .

(٣) أبو القاسم أنوجور بن الإخشيد : تولى حكم مصر سنة ٣٣٥ هـ بعد وفاة أبيه محمد بن طليح الإخشيد
وكان عمره حينئذ أربعة عشر عاما وتولى الوصاية عليه كافور الإخشيد الذي كان الحاكم الفعلي للبلاد ،
ولم يترك أنوجور في الحكم أربعة عشر سنة ومات سنة ٣٤٩ هـ ويقتد البعض أن كافور قد نس له السمر ،
د . أحمد طليح : موسوعة التاريخ الإسلامي ج ٥ ص ١١١ .

(٤) هي الثالث الأول من الليل أو بعد غيوبة الشفق أو وقت صلاة المشاء الأخيرة .

(٥) الشياخ العتيق يقصد به جامع عمرو بن العاص بمدينة القسطنطينية ويعرف أيضا بجامع النوراني . ليس
لغلاف الانحصار لو اسقطت عند الأمصار ج ١ ص ٥٩ .

بيع القمح كل ويتين^(١) ونصف دينار . ثم طُلب فلم يوجد ، فثار الرعية
وكسروا منبر الجامع بمصر^(٢) .

ثم وقع الغلاء في الدولة الإخشيدية أيضا ، واستمر تسع سنين متتابعة ،
وإنما في سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة [٣٥٢ هـ] ، والأمير إذاك علي بن
الإخشيد^(٣) ، وتدهور الأمور إلى الاستاذ أبي المسك كافور الإخشيد . وكان
سبب الغلاء أن ماء النيل انتهت زباده إلى حمسة عشر ذراعا وأربع أصابع ،
فنزع السمر بعد رخص ، فما كان بدينار واحد صار بثلاثة دنانير ، وعز الحنجر
فلم يوجد ، وزاد الغلاء حتى بلغ القمح كل ويتين بدينار . وقصر مد النيل في سنة
ثلاث وخمسين ، فلم يبلغ سوى حمسة عشر ذراعا وأربعة أصابع ، واضطرب فزاد
مرة ونقص أخرى حتى صار في النصف من شهر بانه إلى قريب من ثلاثة عشر
ذراعا ، ثم زاد قليلا وانخط سريعا . فعظم الغلاء ، وانتفضت الأعمال لكثرة الفتن ،
ولهبت الضياح والغلات . وماج الناس في مصر بسبب السمر ، فدخلوا الجامع
العتيق بالقسطنطينية في يوم جمعة ، وازدحموا عند الخراب ، فمات رجل وامرأة في ١٣
الرحام ، ولم تصل الجمعة يومتز . وممادى الفسار إلى سنة أربع وخمسين
[٣٥٤ هـ] ، وكان مبلغ الزيادة أربعة عشر ذراعا وأصابع . وفي سنة أربع
وخمسين نفسها كان مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وأصابع . وفي سنة خمس
وخمسين [٣٥٥ هـ] كان مبلغ الزيادة أربعة عشر ذراعا وأصابع ، وقصر مد
وقلت حريته . وفي سنة ست وخمسين [٣٥٦ هـ] لم يبلغ النيل سوى اثني عشر

(١) الزبية : مكان شحوب وهي تساوي كثير والأرب ست وبيات ، القسطنطينية تصح الألف ج ٣ ص
٤٤١ .

(٢) كلمة مصر كانت تشتهر عند مازخي المصور الوسطى في مدينة القسطنطينية والتي كانت تسمى عساة
مصر القسطنطينية وكانت تضم مدينة السمر ومدينة القسطنطينية ، أحمد محمود حمدي : عوصنا الإسلامية
قبل القاهرة (بحث ضمن أبحاث الندوة الثانية لتاريخ القاهرة ج ١ ص ١٩٦) .

(٣) هو ثالث حكام الدولة الإخشيدية، تولى الحكم بعد وفاة أبيه أبي القاسم أنوجور ٣٤٩ هـ وتلقب بـ"علي"
الحنجر وحكم اسمها لمدة خمس سنين وشهرين حيث كان إمام الأمور في يد كافور الإخشيد وتولى سنة
٣٥٥ هـ ، السقري : المواقط والأعتبار ج ١ ص ٣٢٩ ، ٣٣٠ . طبعة بوزني .

دراغا وأصابع ، ولم يقع مثل ذلك في المئة الإسميرية ؛ وكان على إمارة مصر حينئذ الأستاذ كالفور الإخشيدى^(١) ؛ فعظم الأمر من شدة الغلاء .

ثم مات كالفور ، فكثر الاضطراب وتعدت الدين^(٢) ، وكانت حروب كثيرة بين الجند والأمرأ قُتل فيها خلقٌ كثير ، وانتهت أسواق البلد ، وأحرقَت مواضع عديدة . فاشتد خوف الناس ، وضاعت أموالهم وتغيرت نياتهم ؛ وارتفع السعر ، وتعدت وجود الأقوات حتى بيع القمح كل وبة بدينار . اختلف العسكر ؛ فلاحق الكثير منهم بالحسن بن عبد الله بن طنج ، وهو يومئذ بالرملة ؛ وكسائب الكثير منهم المعز لدين الله الفاطمي^(٣) . وعظم الإرحاف^(٤) بمصر القرامطة إلى مصر ، وتواترت الأخبار بحجى عساكر المعز من المغرب ، إلى أن دخلت سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة [٣٥٨ هـ] ودخل القائد جوهر بعساكر الإمام المعز لدين الله ، وبنى القاهرة للمعزية ؛ وكان مما نظر فيه أمر الأسعار ، فنضرب جماعة من الطمانين فقط ؛ ولم يعمل مكان البيع غير طسريق واحدة ، فكان لا يُخرج قذح قمح إلا

ويقف عليه سليمان بن عزة المختس^(٥) . واستمر الغلاء إلى سنة ستين [٣٦٠ هـ] ، فاشتد فيها الوباء ، وفشت الأمراض ، وكثر الموت حتى عجز الناس عن تكوين الأموال ودهنهم ، فكان من مات يُطرح في النيل ، فلما دخلت سنة إحدى وستين [٣٦١ هـ] اغل السعر فيها ، وأخصبت الأرض ، وحصل الرخاء . ثم وقع الغلاء في أيام الحاكم بأمر الله^(٦) وتدهر لي محمد الحسن بن عمار ، وذلك في سنة سبع وثمانين وثلاثمائة [٣٨٧ هـ] ، وكان سببه قصور النيل ، فبان الزيادة بلغت إلى سنة عشر ذراعاً وأصابع ، ففسخ السعر وطُلب القمح فلم يُؤمَّر عليه . واشتد خوف الناس ، وأخذت النساء من الطرق ، وعظم الأمر ، واتسهنى سعر الخبز إلى أربعة أرباط بدرهم ؛ ومشت الأحوال بالخطاط السعر بعد ذلك . فلما كانت سنة خمس وتسعين وثلاثمائة [٣٩٥ هـ] توقف النيل حتى كُسر الخليج في آخر مسرى ، والماء على خمسة عشر ذراعاً وسبعة أصابع ، وانتهت الزيادة إلى ستة عشر ذراعاً وأصابع . فارتفعت الأسعار ووقفت الأحوال في الصرف ؛ فبان الدرهم المعاملة كانت تسمى يومئذ بالدرهم الزائدة والقطيع^(٧) ، فتفت الناس^(٨)

(١) سليمان بن عزة المختسب : قال من تولى الحسبة في مصر الفاطمية بعد أبي جعفر الخراساني الذي تولى الحسبة سنة ٢٥٨ هـ لم يزل عليها في نفس السنة وتولاها سليمان من سنة ٢٥٨ هـ وحكى مسلمة ٣٦٢ هـ حيث عزل عنها ، وتولى الحسبة والخراج بطوبى بن كلثوم وصلى بن الحسن . وسن الجدير بالشكر أن عمل المختسب الفاطمي كان باطلاً خاض حيث كان يعمل لتخليق أعراض منبهة بحتة ولما يقتله الشعب الشعبي ، المقراني : قطاط الحنفا : ج ١ ص ١٢٢ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ مصطفى أبو زيد : الحسبة في مصر الإسلامية : ص ٧٢ - ٧٨ و ٢٥٢ .

(٢) الحاكم بأمر الله : ثالث خلفاء الفاطميين بمصر وهو ابن الخليفة العزيز بالله وكان سله عند مبايعته بالخلافة أحد عشر عاماً ؛ ثم تولى الوصاية عليه بوجان الخادم ولكن الحاكم دير له وقتله سنة ٣٩٠ هـ بعد أن انتصر فيه على كافة الأعداء مع خذاعة سه وطهر في نصر فاته كثير من الشيوخ مع البيل بلسي مسك السخاء ودعى الرومية في أواخر أيامه وذلك بسبب محبت ابن إسماعيل الزريز ، والذي تنسب له طائفة البزار ، وفي سنة ٤١١ هـ خرج الحاكم ليلوه بجورته المشاعة في جنح القطم لكنه لم يعد ، ومسا زالت معتق به طائفة الدروز حتى الآن ، المقراني : قطاط الحنفا : ج ١ ص ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

(٣) الرحمن الرافعي : مصر في المصور الوسخي من ٢٠٣ .

(٤) الترم المعاملة هي : الترم المصروفة حسب قول ابن شترة القانعة والتجارة بين الناس حسب قيمتها الرسمية ، أما الترم فهي الترم الذي تزيد في الحجة دون الوزن ، أما القطع فهي الترم التي كان يقطع عليها جزء أو ثلث ، وكانت الترم التي تطلع والزيادة تكل قيمتها عن السلة الرسمية لك كسان بعام ضربها على كل صلاح للعبة ، د : رأيت البيرلوي : القود الإسلامية في مصر من ٢٤٤ د .

(٥) ركزت البيل : المرحح السابق ص ٦٦ حاشية ؛

ما بالساحل من الغلال ، وأمر أن لا يُباع إلا للطحانين ، وسُرعَ النفعُ كبل .
 بُئسَ (١) بدينار إلا قيراط ، والشعبُ عشرٌ وبناتُ بدينار ، والحطبُ عشرٌ حملاتُ
 بدينار ، وسُرعَ سائرُ الحبوبِ والبيعات ، وضربُ جماعةٍ بالسَّياطِ وشبهُهم ؛
 فسكنَ الناسُ بوجودِ الخبزِ ، ثم كثرَ ازدحامُهم عليه ، وتسلَّ وجوده في العشايا ؛
 فأمرَ ألا يُباعَ القمحُ إلا للطحانين ، وشدَّ في ذلك ، وكُبِّسَتْ (٢) عدةٌ حواصلُ ،
 وُفِرَ ما فيها من قمحٍ على الطحانين بالسعر . واشتدَّ الأمرُ ، فبلغَ اللقيقُ كسلَ
 حملةِ بدينار ونصف ، والخبزُ ستةَ أرطالٍ بدرهم . وتوقَّفَ النيلُ عسْنَ الزيادةِ ،
 فاستسقى (٣) الناسُ / مرتين ؛ وارتفعَ السعرُ فبلغتِ الحملةُ [من] (٤) الدقيقِ ستةَ
 دنانير . وكُسِرَ الخليجُ والماءُ على حمسة عشر ذراعاً ، فاشتدَّ الأمرُ ، وبلغَ القمحُ
 كلَ تليس أربعة دنانير ، والأرزُ كل وية بدينار ، ولحمُ البقرِ : رطلٌ ونصف
 بدرهم ، ولحمُ الضأن : رطلٌ بدرهم ، والبصلُ : عشرة أرطالٍ بدرهم ، والخبزُ :
 ممالي أواقٍ بدرهم ، وزيتُ الأكل : ممالي أواقٍ بدرهم ، وزيتُ الوقود : رطلٌ
 بدرهم .

وبلغت زيادة النيل في سنة ثمان وتسعين [٣٩٨هـ] أربعة عشر ذراعاً

وأصابع ، فلمحتِ الناسُ من ذلك شدائدُ . ومادى الحال إلى سنة تسع وتسعين
 [٣٩٩هـ] فكُسِرَ الخليجُ في خامسٍ عشر توت ، والماءُ في حمسة عشر ذراعاً ،
 فنقصَ في تاسع عشر توت وانخط . فعظمَ الأمرُ ، وكسَّظَ (٥) الناسُ الجسوعُ ؛
 فاجتمعوا بين القصرين ، واستأثروا بالحاكم في أن ينظرَ لهم ، وسألوه أن لا يهملَ

(١) التَّيسُ : وعاءٌ يسود من الخمر من شبه قنعة . وثقمة من كثافة بنفخ ربح الأخطال ضيق الأغنياء
 تتخذ من خوص تشبه الزنبيل ليس بالكثير لا عرو لها يجرى لها الشر ولهم وسمى بالمرق لغة ولفظ
 ثمن البقرة . ابن منظور : لسان العرب : مادة شرب ومادة قلع .
 (٢) جمع عليها وجوصرت .
 (٣) زيادة في (و) فقط .
 (٤) ليهدهم ولتهم .
 (٥) صلوأ صلاة الاستسقاء .

فيها . وكان صرف الدينار ستة وعشرين درهماً منها ، فتزايد سعرُ الدينار إلى أن
 كان في سنة سبع وتسعين كل أربعة وثلاثين درهماً بدينار . وارتفعَ السعرُ ، وزاد .
 اضطرابُ الناسِ ، وكثرَ عنتُهم في الصرف ، وتوقفتِ الأحوالُ من أجل ذلك .
 فنقدَّم الأمرُ بإزالةِ عشرين صندوقاً من بيت المال (١) مملووةً دراهم فرقت في
 الصيارف . ونودي في الناسِ بالبيع من المعاملة بالدراهم القطنعة والمزايدة ، وأن
 يحملوا ما بأيديهم منها إلى دار الضرب (٢) ، وأُخذوا ثلاثاً . فشقَّ ذلك على الناسِ
 لتلافٍ أموالهم ، فإنه كان يُدفع في الدرهم الواحد من الدراهم المجددة (٣) أربعة
 دراهم من الدراهم القطع والزائدة . وأمر أن يكون الخبزُ / كل اثنين عشر رطلاً
 بدرهم من الدراهم المجددة ، وأن يُصرفَ الدينار ثمانية عشر درهماً منها . وضرب
 عدةً من الطحانين والخبازين بالسبوط (٤) ، وشهروا من أجل ازدحام الناسِ على
 الخبزِ ، فكان لا يباع إلا مبلولاً . وقصر مدُّ النيل حتى انتهت الزيادة إلى ثلاثة عشر
 ذراعاً وأصابع ، فارتفعت الأسعارُ وبرزت الأوامرُ لمسعود الصقلي متولي الستر (٥)
 بالنظر في أمر الأسعار : فجمع شُرَّاءَ الغلال والطحانين والخبازين ، وقُبضَ على

(١) بيت المال : كان مقره منذ الفتح الإسلامي لمصر بجميع عمرو بن العاص بالقطاط وبنب بناره إلى
 قبة بن شريك في مصر سنة (٩٠-٩١هـ) وإلى لامة بن زيد التتوي وهو صاحب الخراج في ولاية
 الملك بن رفاعه على مصر (٩١-٩٢هـ) ، شُرَّيزي : المراعضة والاعتبار : جـ ١ ص ٢٩٩
 طه بولاق ، ابن طغاي : الانقصار لوسيلة عقد الأمصار : جـ ١ ص ١١٤ .
 (٢) بيت دار الضرب في القاهرة في أيام سلطنة بن الطغاي في عهد الخليفة الأمر وكان مولها لمي
 القشاش قبالة الدار على حيَّك وسببت انتشار الأبرية . وترتب في قوص دار ضرب وفي القسامة
 ومصر والإسكندرية وصور . ابن عبد الظاهر : الروضة البهية الزاخرة في خطط المصيرية للقاهرة -
 تحقيق د. أمين فؤاد ميت من ٢٤٠٣ ، المرزوقي : الموعظة والأعتبار طبعة الأدباء جـ ٢ ص
 ٣١٢ ، ابن معالي : قوانين الدواوين ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ .
 (٣) الدراهم الجديدة : ينظر أن هذا القطع كان يشتمل الدوزة على ما يستجد ضربه من النقود بأثرها في
 عهد من اليهود لتمييزها في الغالب عن النقود التي هي القديمة . وما يؤيد استخدام هذا القطع لمي
 القرص السابق ما جاء في وثيقة ولقد فاطمة بنت سوده من عند الله النوراني حيث جاء فيها : وصرَّفتُ
 لها من ربح الوقت التكمير في كل شهر من شهر الأمانة من الفدرس الخط المستجد ضربت من النحاس
 الأحمر بمائة دينار المصرية يومئذ ثلثة دراهم . د. ركنة التبرلوي : المرجع السابق ص :
 ٣١٠ ، ٣١١ .

(٤) جمع سوط ، هذا الجمع خطأ وجمع على سوط وميط .
 (٥) لامة أبو التتوي : مسعود الصقلي وابن لا يعرف شيئاً عن وظيفة صاحبه الشر حيث لم يذكر ما
 تقتضيه في "صاحب الأغنياء" في باب الوظيفة بالنسبة لقطانية .

أمرهم ، فركب حماره وخرج من باب البحر ، ووقف وقال : " أنا ماضٍ إلى جامع راشدة^(١) ، فأقسم بالله لئن عدت فوجدت في الطريق موضعاً يَطْوُهُ حماري مكشوفاً من الغلة لأضرب رقبته كل من يقال لي إن عنده شيئاً منها ، ولأحرقن داره وأهبن ماله " . ثم توجه وتأخر إلى آخر النهار ، فماتتقى أحد من أهل مصر والقاهرة وعنده غلة حتى حملها من بيته أو منزله وشوكتها في الطرقات ، وبلغت أجرة الحمار في حمل النقلة الواحدة ديناراً . فامتألت عبون الناس ، وشبعت نفوسهم ، وأمر / الحاكم بما يحتاج إليه في كل يوم ، ففرضه على أرباب الغلات بالثبينة ، ونحيرهم في أن يبيعوا بالسعر الذي يقرره بما فيه من الفائدة المحتملة لهم ، وبين أن يمتنعوا فيختم على غلاتهم ولا يمكنهم من بيع شيء منها إلى حين دخول الغلة الجديدة . فاستجابوا لقوله وأطاعوا أمره ، وانحل السعر وارتفع الضرر ، والله عاقبة الأمور .

ثم وقع غلاء في خلافة المستنصر^(٢) ووزارة الوزير الناصر لدين الله أبي محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري ، و سببه قصر النيل في سنة أربع وأربعين وأربعمائة [٤٤٤هـ] ، وليس بالمخازن السلطانية شيء من الغلات ، فاشتدت المسغبة . وكان سبب خلو المخازن أن الوزير لما أضيف إليه القضاء في وزارة أبي البركات كان ينزل إلى الجامع بمصر في يومي السبت والثلاثاء من كل جمعة ، فيجلس في الزيادة^(٣) منه للحكم على رسم من تقدمه ، وإذا صلى العصر رجع إلى القاهرة .

(١) بنى الحاكم بأمر الله هذا الجامع ، وكان الشروع في بنائه سنة ٣٩٣هـ ، المقريزي : المواعظ والأعتبار ج ٤ ص ٦٣ : ٦٥ ط الأديب . ابن تقي : الإنصار لواسطة عقد الأمصار : ج ٤ ص ٧٩ ، ٧٨ .

(٢) تولى المستنصر بالله الخلافة بعد وفاة أبيه الظاهر سنة ٤٢٧هـ واستمر في الحكم مئتين عاماً وقصفت عهده في بدايته بالرخاء ولكن ذلك لم يستمر طويلاً وأعقبه غلاء وانتشر وباء وكان هذا الوباء لربداً لطول منته حتى أطلق عليه الشدة العظمى . وتوفي المستنصر سنة ٤٧٨هـ . د . سعيد عبد الفتاح عاشور : مصر في المعصور الوسطى ص ٢٠٤ . د . بركات البيلي : المرجع السابق ص ٨٩ .

(٣) الزيادة : هي كل ما يضاف للتخطيط الأصلي للسند .

وكان في كل سوق من أسواق مصر على أرباب كل صنعة من الصنائع عريف يتولى أمرهم ، و الأخبار بمصر في أزمنة المساعب متى بردت لم يجمع منها إلى شيء لكثرة ما يُعْتَش لها . وكان لعريف الخبازين دكان يبيع الخبز لها ، ومحاذيهما دكان آخر لصعلوك يبيع الخبز لها أيضاً ، وسعره يومئذ أربعة / أرتال بدرهم ولهم^(١) فرأى الصعلوك أن خبزه قد كاد يبرد ، فأشفق من كساده ، فنادى عليه أربعاً أرتال بدرهم ، ليرغب الناس فيه ، فانتال الناس عليه حتى بيع كله لتساعه ، وبقى خبز العريف كاسداً ؛ فحقن العريف لذلك ، ووكل به عونين من الحسبة أغرمساه عشرة دراهم . فلما مر قاضي القضاة أبو محمد اليازوري إلى الجامع استفتاه به ، فأحضر المختسب وأنكر عليه ما فعل بالرجل . فذكر المختسب أن العادة جارية باستخدام عرفاء في الأسواق على أرباب البضائع ، ويُقبل قولهم فيما يذكرونه ، فحضر عريف الخبازين بسوق كذا ، واستدعى عونين من الحسبة ، فوقع الظن أنه أنكر شيئاً اقتضى ذلك . فأحضر الوزير الخباز وأنكر عليه ما فعله ، وأمر بصرفه عن العرافة ، ودفع إلى الصعلوك ثلاثين ربيعاً^(٢) من الذهب ، فكاد عقله يختلط من الفرح . ثم عاد الصعلوك إلى حاتوته ، فإذا عثته قد خُبِرت ، فنادى عليها خمسة أرتال بدرهم ، فمال الزبون إليه ، وخاف من سواه من الخبازين برّد أخبارهم فباعوا كبيعه ، فنادى ستة أرتال بدرهم ، فأدغم الضرورة إلى اتباعه . فلما رأى اتباعهم له قصّد نكاية العريف الأول وغیظه بما يرخص من سعر الخبز ، فأقبل يزيد رطلاً رطلاً والخبازون يتبعونه في بيعه خوفاً من الوار ، حتى بلغ النداء عشرة أرتال بدرهم . وانتشر ذلك في البلد جميعه ، وتسامع الناس به ، فتسارعوا إليه . فلم يخرج قاضي القضاة من الجامع إلا والخبز في جميع / البلد عشرة أرتال ٢٠

(١) هي دنائير ضربها الخليفة المأمون العباسي وسميت بهذا الاسم لأن وزن كل منها لربع حبات أو يكاد ، أدب المستنصر الخرملي : انقواء العربية والإسلامية وعلم النميات ص ٤٨ .

بهرهم . وكان يُتباع للسلطان^(١) في كل سنة غلة بمائة ألف دينار وتُجعل منقراً ، فلما رجع اليازوري إلى القاهرة ، وداره بها ، مثل بخضرة السلطان ، وعرقه ما من الله به في يومه من إرخاص السعر وتوفير الناس على الدعاء له ؛ وأن الله جلّست قدرته فعل ذلك وحل أسعاهم بحسن يُشبه في عبيده ورعيته ، وأن ذلك بغير موجب ولا فاعل له ، بل بطلته تعالى في اتفاق غريب ، وأن النحر الذي يُقام بالغلة فيه مضرة على المسلمين ، وربما انحط السعر عن مشترعا فلا يمكن بيعها ، فتغير بالمخازن وتكلف ؛ وأنه يقيم منقراً لا كلفة على الناس فيه ، ويفيد أضعاف فائدة الغلة ، ولا يُخشى عليه من تغير ولا انحطاط سعر ، وهو الخشب والصابون والحديد والرصاص والمسل ، وشبه ذلك . فأمضى السلطان له ما رآه واستمر ذلك ، ودام الرخاء مدة سنين .

ثم قصر النيل بعد خمس سنين من نظره ، في سنة سبع وأربعين [٤٤٧هـ]^(٢) ، وليس في المخازن إلا جرابات من في القصور ومطبخ السلطان وحواشيه لا غير . فورد على الوزير أبي محمد ما كثر به فكره ، ونزع السعر إلى شمانية دانائير القليس ، واشتد الأمر على الناس ، وصار الخبز مكررة . فذهب الوزير البلدا بما أسلك به رمق الناس : وهو أن التجار حين إحصاء المائدين ، وضيق

(١) من الغريب وجود هذا القلب في العصر الفاطمي حيث تعدد الغلاء الفاطميون الأقطاب العباسية التي كانت مستقلة في الدولة العباسية كأمير المؤمنين والإمام الذي كان له عندهم قيمة خاصة نظراً لأهميته الدينية وتلقى التراجم التاريخية والنفوس على أن لقب السلطان كان يطلق كلقب عام على السلافة وكان هذا القلب في العصر الفاطمي يطلق على الوزراء وأمراء الجيوش الذين صاروا يسلطون في مصر بعد ذلك المنصف الثاني من العصر الفاطمي بناء على كونهم وكبرهم لسلطتهم وهذا القلب انتشر في مصر بعد ذلك كلقب لشعاع في عصري الأيوبيين والمماليك . انظر د. حسن حبشا الأقطاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والأثر ، د. بركات البيبي الأزمات الاقتصادية من ٨٢٠ حتى ١٠٠٠ . وربما استخدم العزيزي هذا القلب هنا تجاوزاً وتأثيراً بالعصر المملوكي الذي عاش فيه .

(٢) تمتد في هذا الغلاء وقصور النيل كان سنة ٤٤٦ هـ حيث يذكر العزيزي في تصانيفه الخلفاء في حواشيه سنة ٤٤٦ هـ وكذلك في الخطط حيث قال " ثم قصر أيضاً من النيل في سنة ست وأربعين فقصرو الغلاء وكثر الموت في الناس " ولم يذكر عام ٤٤٧ هـ ونسب آخر ذكره . د. بركات البيبي في كتابه الأزمات الاقتصادية والأوبئة وهو أن العزيزي قال " بعد خمس سنين من بطشه أو اليازوري فوالس فوزارة سنة ٤٤١ هـ . انظر - العزيزي : المواقف والأعتبار : ج ٢ ص ١٧٠ ، قطب الخفا : ج ٢ ص ٢٢٠ ، ٢٢١ . د. بركات البيبي : الأزمات الاقتصادية والأوبئة : ص ٨٢ حاشية ٥ .

الحال عليهم في القيام للديوان بما يجب عليهم من الخراج ، ومطالبة الفلاحين بالقيام به ، صاروا يتعاون منهم غلامهم قبل إدراكها بسعر فيه ربح لهم ، ثم يخضرون إلى الديوان ويقومون لنمهيده^(١) عنهم بما عليهم ، ويُبيّت ذلك في روزنامج^(٢) الجهيذ مع مبلغ العنة وما قاموا به فإذا صارت الغلال في البلاد^(٣) حملها التجار إلى مخازنهم . فنعى الوزير أبو محمد من ذلك ، وكب إلى عمال عامة النواحي باستعراض روزنامجات الجهات ، وتخبر ما قام به التجار عن المعاملين ، ويبلغ الغلة الذي وقع الاتباع عليه ، وأن يقوموا للتجار بما وزنوه للديوان ، ويُخوضهم في كل دينار تُمن دينار تطيباً لنفوسهم ، وأن يضمنوا حقوقهم على المخازن ، ويطلبوا مبلغ ما يُخضل تحت أيديهم فيها . فلما حصل عنده علم ذلك جهز المراكب ، وحمل الغلال من النواحي إلى المخازن السلطانية بمصر ، وقرّر لمن القليس ثلاثة دانائير بعد أن كان شمانية دانائير ، وسلم إلى المخازن ما يتناقصه لمعامرة / الأسواني ، ووظف ما يحتاج إليه البُلدان : القاهرة ومصر ، وكان ألف نليس دور في كل يوم ، لحصر سبعمئة وللقاهرة ثلاثمئة . فقام بالتدبير أحسن قيام مدة عشرين شهراً إلى أن أدركت غلة السنة الثانية ، فتوسّع الناس بها ، وزال عنهم الغلاء ، وما كادوا يتألمون لحسن التدبير .

فلما قتل الوزير أبو محمد لم تُر الدولة صلاحاً ، ولا استقام لها أمر ، وتناقصت عليها أموراً ، ولم يستقر لها وزير يُحمد طريقته ولا يُرضى تدبيره ،

(١) الجهيذ - بالكسر الشدة الخبير وعرفه ابن معالي بأنه " كاتب بوسع استخراج المال وقبضه وكسبه للوصلات به ، وغلبه عمل الخازيم والرواسيات والفتنات وتواليها ويطلب بما يقبضه ويخرج ما يعمله من الحساب للزعماء " . الخروزباني : القاموس المحيط : باب الدال فصل الجيد والحساء . ابن معالي : قوانين الدولوت ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

(٢) روزنامج : الخط فارسي معناه السجل اليومي ، وكان هذا الخط مستمداً في الدولة الفاطمية ، والنسبة إليه الروزنامجي الذي بهيته السجل . محمد كندل الشكلي : المرجع السابق ص ١٦٤ .

(٣) البهاجر : جمع بئر وهو في القاموس المحيط " بئر الطعام كونه وقبيل موضع الذي يداس فيه " أي شومخ قاضي ليرس فيه ثلاث . الخروزباني : القاموس المحيط باب الراء فصل الباء ، د. سعيد عاشور : المعصر المملوكي في مصر واتحاد ص ٤٠٠ .

وكرت السعاية فيها ، فما هو إلا أن يُستخدم الوزير حتى يجعلوه سُوقَهُمْ ،
 وبوقعوا به الظن ، حتى يتصرف ولم تطل مدته . وحالط السلطان الساس ،
 ودخلوه بكثرة المكاتبه ، فكان لا ينكر على أحد مكاتبته ؛ فتقدم منهم كل
 سفاسف^(١) ، وخطي عنده عدة أوغاد ، وكنزوا حتى كانت رِقاعهم^(٢) أرفع من
 رِقاع الرؤساء والحلة^(٣) ، وتنقلوا في المكاتبه إلى كل فن ، حتى أنه كان يصل إلى
 السلطان في كل يوم ثمانمائة رقة ؛ فتشبهت^(٤) عليه الأمور ، وانتقضت الأحوال ،
 ووقع الاختلاف بين عبيد الدولة ، وضعت قوى الوزراء عن تدبيرهم ليقصر
 مدتهم ، وأن الوزير منذ يُخلع عليه إلى أن يتصرف لا يفيق من التحرر ممن
 يسعى^(٥) عليه عند السلطان ، وتقف عليه الرجال ، فما يكون فيه فضّل عن
 الدفاع عن نفسه . فخربت أعمال الدولة ، وقلّ ارتفاعها^(٦) ، وتقلب الرجال على
 / معظمها ، واستصفوا نواحي ارتفاعها ، حتى انتهى ارتفاع الأرض السفلي إلى ما
 لا نسبة له من ارتفاعها الأول ؛ وكان قبل ميني هذه الفتنة ستمائة ألف دينار
 تُحمل دفعين في غرة رجب وغرة محرم . فأنقض ارتفاع ، وعظمت الواجبات ، ووقع
 اصطلاح الأضداد^(٧) على السلطان ، وواصلوا اقتضائه قيودهم فيوفيههم واجباتهم ،
 ولازموا باه ، ومنعوه لذاته . ونزعوا على الوزراء ، واستحققوا لهم وجعلوهم غرضاً
 لسهامهم ؛ فكانت الفترات بعد صرف من يتصرف منهم أطول من مدة نظره^(٨)

(١) سفاسف : الردئ من كل شيء والأمر الحقير من كل شيء وعمل . القيروزبادي : السامون المحيط
 باب الفاء - فصل السنين

(٢) جمع رقة وهي المريضة أو المصحبة يمرض فيها الطيب .

(٣) غنية القوة .

(٤) لغتظلت .

(٥) يكد له .

(٦) الارتفاع : هو مبلغ ما يتحصل من المال شيون من دولتين الدولة أو هو مجموعة الأموال الديوانية
 كلها . التويري : نهاية الأرب ج ٨ ص ٣٧٥ . ٣٧٧ . التويري اسماعيل : السطحة المالية في مصر
 والشام ، ملحق ٤ ص ٣٨٨ .

(٧) الأضداد : جمع ضد وال ضد هو المختلف والمضاد .

(٨) و (١) :

أحدهم . فطغى الرجال ، ونزعوا حتى خرجوا من طلب الواجبات إلى
 المصادرة ، فاستنفدوا أموال الخليفة ، وأخلوا منها خزانته ، وأخرجوه إلى بيع أغراضه
 فاشتراها الساس بالقيم العادلة . وكان الرجال يعترضون ما يباع ، فيأخذ من له درهم
 واحد ما يساوي عشرة دراهم ، ولا يمكن مطالبته بالنمن . ثم زادوا في الجرأة حتى
 صاروا إلى تقويم ما يخرج من الأغراض ؛ فإذا حضر المقومون أخافوهم ، فيقومون
 ما يساوي ألفاً بمائة وما دونها ؛ ويعلم المستنصر وصاحب بيت المال بذلك ، ولا
 يتمكنون من استيفاء الواجب عليهم . فتلاشت الأمور واضمحل الملك ، وعلموا أنه
 لم يبق ما يلتصق بإخراجه لهم ، فقاموا الأعمال ، وأوقعوا التباسهم على ملزاد عن
 الارتفاع ، وكانوا يتقلون فيها بحكم غلبه من تغلب صاحبه عليها ؛ ودام ذلك بينهم
 سنوات خمساً أو سبناً . ثم قصر النيل / ، فزعت الأسعار نزوعاً بدد شملهم ، وفرق^(١)
 إلفهم ، وشئت كلمتهم ، وأوقع الله العداوة والبغضاء بينهم ؛ فقتل بعضهم بعضاً
 حتى أباد حضراءهم وعنى آثارهم ؛ فبئس خاوية بما ظلموا .

ثم وقع في أيام المستنصر الغلاء الذي فحش أمره وشنع ذكره ، وكان
 أمده سبع سنين . وسببه ضعف السلطنة ، واختلال أحوال المملكة ، واستيلاء الأمراء
 على الدولة ، واتصال الفتن بين الغربان ، وقصور النيل ، وعُدْم من يزرع ما شمله
 الري . وكان ابتداء ذلك في سنة سبع وخمسين وأربعمائة [٤٥٧هـ] ؛ فززع
 السعر ، وتزايد الغلاء ، وأعقبه الوباء حتى تعطلت الأراضي من الزراعة ، وشمل الخوف ،
 وخيفت السبل براً وبحراً ، وتعذر السير إلى الأماكن إلا بالخفارة الكثيرة وركوب

(١) يوجد لختلاف بين المؤرخين على تحديد سنة بداية الشدة المستنصرية وإن كانوا يتفقون على أنها
 استمرت سبع سنوات ؛ فابن أبي بكر يذكر بدايتها سنة ٤٥١هـ . وابن أبي بكر أنها كانت سنة ٤٤٨هـ
 أما السيوطي فيذكرها سنة ٤٦٠هـ . أما المقرئ فيحددها بسنة ٤٥٧هـ . ونهايتها سنة ٤٦٤هـ . وربما
 كان سبب هذا الاختلاف وتعدد الروايات هو تعدد وتوالي الأزمات الاقتصادية في هذه الفترة التي تطرق
 إليها المؤرخون . فظهر المقرئ في : انماط الحفاه : ص ٢٧٩ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، للمواعظ والاعتبار ج ٢ ص
 ١٤١ ، ابن عبد الظاهر : الروضة البهية الزاهرة في خطط مصر القاهرة ص ٣٤ ، دبركات البيهقي
 لمرجع السابق ص ١٥

عن نفسه ، إلى أن رحلها بعض الناس وباعها به تليس دقيق عصر . وكانت تسكن بالقاهرة ، فلما أخذته أعطت بعضه لمن يحميها من التهاية في الطريق ، فلما وصلت إلى باب زويلة تسلّمت من الحماة له ومشت قليلا ، فتكاثر الناس عليها وانتهرونها . فأخذت هي أيضاً مع الناس من الدقيق بل ، يدها لم ينتهها غنوه ، ثم عحته وشوته ، فلما تشار فرصة أخذتها منها ، وتوصلت إلى / أحد أبواب القصر ، ووقفت على مكان مرتفع ، ورفعت الفرصة على يدها بحيث يراها الناس ، ونادت بأعلى صولها : " يا أهل القاهرة ! ادعوا لولانا المستنصر الذي أسعد الله الناس بأمامه ، وأعاد عليهم بركات حسن نظره حتى تقومت على هذه الفرصة بـأسألف دينار " . فلما اتصل به ذلك امتعض له ، وقدر فيه ، وحرك منه ، وأحضر الولي ومحمد وتوعدّه ، وأقسم له بالله جلّت قدرته أنه إن لم يظهر الخبز في الأسواق وينحلّ السعر ولا ضرب رقبته وانتهب ماله . فخرج من بين يديه ، وأخرج من الحبس قوما وجبّ عليهم القتل ، وأفاض عليهم ثيابا واسعة وعمائم مندورة وطبائس^(١) سالمة^(٢) ، وجمع تجار الغلة والحجازين والطعّانين ، وعقد مجلسا عظيما وأمر بإحضار واحد من القوم ، فدخل في هيئة عظيمة ، حتى إذا مثل بين يديه قال له : " وبلك ! ما كفناك أنك تختّ السلطان ، واستوليت على مال الديوان إلى أن أخربت الأعمال وعقمت الغلال ، فأدى ذلك إلى اختلال الدولة وهلاك الرعية ؟ اضرب رقبته ! " فضربت في الحال ، وتركه ملقى بين يديه ، ثم أمر بإحضار آخر منهم ، فقال له : " كيف خسرت على مخالفة الأمر لما نهى عن احتكار الغلّة ، ومما دبت على ارتكاب ما نهيت عنه إلى أن تشبه بك سواك ، فسهلك الناس ؟ اضرب رقبته ! " ، فضربت في الحال . واستدعى آخر ، فقام إليه الحاضرون من

(١) الطبائس : جمعة طبائس : نوع من الأوتحة يلبس على الكف أو بحيط بالدين غالبا ممن لفاسيل ولبسه القوام من المشاء وقشايه ، وهو من لباس المعجم . د . سيد علقور : قصص القضاة قسري مصر والثاء من ١١٠٠ .

(٢) سالمة : صافية .

٢٥

القر^(١) ، واستولى الخوارج لعدم القوت حتى أبيع رغيف خبز في السداء برفاق الفاديل من القسطة كبيع الطرّف^(٢) بخمسة عشر دينارا ، وأبيع الأرب^(٣) من التمع بشانين دينارا ، وأكلت الكلاب والقطة حتى قتل الكلاب ، فبيع كسب ليوكل بخمسة دنانير . وتزايد الحال حتى أكل الناس بعضهم بعضا ، وتحرز الناس ، فكانت طوائف تجلس بأعلى بيوتها ومعهم سلب وحيال فيها كلاب ، فإذا مرّ بهم أخذ القوها عليه ونشلوه في أسرع وقت وشرحوها / لحمه وأكلوه . ثم آل الأمر إلى أن باع المستنصر كل ما في قصره من ذخائر وثياب وأثاث وسلاح وغصيره ، وصار يجلس على حصوه ، وتمطّلت دواوينه ، وذهب وقاره ، وكانت نساء القصور تخرجن ناشرات شعورهن نصفن : " الخوارج ! الخوارج ! " ، ثمّذن المستر إلى العراقي ، فسقطن عند المصلّى ، وتمنّ جوعا . واحتاج المستنصر حتى باع حليته قبور آهاته ، وجاءه الوزير يوما على بغلته فأكلتها العامة ، فشق طائفة منهم ، فاجتمع عليهم الناس فأكلوهم . وأفضى الأمر إلى أن عديم المستنصر القوت ، وكانت الشريفة بنت صاحب السبيل تبعث إليه في كل يوم بقعب^(٤) من فبب من جملة ما كان لها من البر والصدقات في تلك الغلوة ، حتى أنقذت ماله كله - وكان يجلب عن الإحصاء - في سبيل البر . ولم يكن للمستنصر قوت سوى ما كانت تبعث به إليه ، وهو مرة واحدة في اليوم والليلة .

ومن غريب ما وقع أن امرأة من أرباب البيوتات أخذت عقدا لها قيمته ألف دينار ، وعرضته على جماعة في أن يعطوها به دقيقا ، وكلّ يمتدّ إليها ويدفعها

(١) القر : التمرض للخطر . ولم يلقاها من المحيط - غور بنفسه فخريرا ونفرة فخلعة عرسها الهلكنة والمقصود بها هنا المخاطر .

(٢) الأشياء العزيزة النادرة .

(٣) يشتر المعقريزي هنا إلى تحول . وهذا التحول هو بيع التمع بالأرب بدلًا من التليس ومعنى مسلا أن تغيرا طرا على استخدام الكنايل والأوزان منذ خلافة المستنصر . د . بركات الشبي : المرجع السليم .

من ٨٤ حاشية ٥ .

(٤) القعب : قبح صغير غليظ .

السوس ، فباعوها بالسوس ^(١) ، وندموا على ما فاتهم من البيع بالسعر الأول .
ثم وقع غلاء شنيع ^(٢) ، ولحق ذريع في أيام الحافظ لدين الله ^(٣) ، ووزارة

الأفضل بن وحش ^(٤) ، إلا أنه لم يستمر ، فإن الأفضل المذكور كان قد ركب إلى
الجامع العتيق عصر ، وأحضر كل من يتعلق به ذكر العلة ، وأدب جماعة من
المحكومين ومن يزيد في الأقطار ، ووظف عليهم القيام بما يحتاج إليه في كل يوم ،
وباشر الأمر بنفسه وأخذ فيه بالحد ، فلم يسع أحد حيلة . ولم يزل الحال كذلك
إلى أن أن الله تعالى بالرخاء ، وكثيف عن الناس ما نزل هم من البلاء ^(٥) ، إن رسي
لطيف لما يشاء أنه هو العليم الحكيم .

ثم وقع غلاء في أيام الفاتر ^(٦) ، بوزارة الصالح طالع بن زريك ، وبلغ فيه
الأردب خمسة دنانير ، لقصور ماء النيل عن الوفاء . وكان بالأهراء ^(٧) من الغلات

(١) يشير السوسي إلى وقوع هذا الغلاء في سنة ٤٩٧ هـ .
الطبر السوسي : حسن المحاضرة ج ٢ ص ٢٥٧ ، و . د . بركات الهيبي : المرجع السابق ص ٩٦ .
(٢) الحافظ ليعن الله (٥٢٦ - ٥٤٤ هـ) هو الأمير أبو الميمون عبد المجيد ابن عم الأمير وتلقب بالحافظ
ليعن الله عند توليه الخلافة سنة ٥٢٦ هـ . ولم يكن في بداية حكمه ولكن كبتا لحمل منتظر من إحدى
زوجات الأمير ، لم قامت ثورة عليه من الجند وقدموا إلى على أحد بن الأفضل وزيراً فاستبد بالحكم
وسجن الحافظ في القفزة من سنة ٥٢٤ هـ إلى سنة ٥٢٦ هـ . ثم قار طعان الأمير وعلى رأسهم فصر
الجيوش وأعلن وتمكنوا من قتل أبي علي الأفضل وعاد الحافظ للحكم وظل في الخلافة إلى وفاته سنة
٥٤٤ هـ . انظر . د . ليو لولا سيد - دولة الفاطمية ص ١٨٥ ، ١٨٥ ، ١٧٩ ، ١٧٨ ، د . جمال الدين - سرور :
المرجع السابق ص ٢٧٨ - ٢٨٠ . المغربي : المواقف والإعجاز : ج ٢ ص ١٧٣ طبع في
(٣) ويشكره المغربي في صياغة الحق بأحد روضان بن ولحي وتولي الوزارة سنة ٥٣١ هـ . وفيه أرسو
٥٤٤ هـ . انظر . د . ليو لولا سيد - دولة الفاطمية ص ١٨٥ ، ١٨٥ ، ١٧٩ ، ١٧٨ ، د . جمال الدين - سرور :
(٤) ويشكره المغربي في صياغة الحق بأحد روضان بن ولحي وتولي الوزارة سنة ٥٣١ هـ . وفيه أرسو
٥٤٤ هـ . انظر . د . ليو لولا سيد - دولة الفاطمية ص ١٨٥ ، ١٨٥ ، ١٧٩ ، ١٧٨ ، د . جمال الدين - سرور :
(٥) وفيه أرسو ٥٤٤ هـ . انظر . د . ليو لولا سيد - دولة الفاطمية ص ١٨٥ ، ١٨٥ ، ١٧٩ ، ١٧٨ ، د . جمال الدين - سرور :
(٦) ويشكره المغربي في صياغة الحق بأحد روضان بن ولحي وتولي الوزارة سنة ٥٣١ هـ . وفيه أرسو
٥٤٤ هـ . انظر . د . ليو لولا سيد - دولة الفاطمية ص ١٨٥ ، ١٨٥ ، ١٧٩ ، ١٧٨ ، د . جمال الدين - سرور :
(٧) وفيه أرسو ٥٤٤ هـ . انظر . د . ليو لولا سيد - دولة الفاطمية ص ١٨٥ ، ١٨٥ ، ١٧٩ ، ١٧٨ ، د . جمال الدين - سرور :

والغلاء ج ٢ ص ١٧٢ طبعية الآداب .
(٨) يرجع وقوع هذا الغلاء بين سنتي ٥٣١ - ٥٣٢ هـ . وذلك بناء على ما ذكره المغربي في حال هذا
الغلاء وقع في زمن وزارة روضان بن ولحي الذي تولى الوزارة في هذه الفترة (٥٣١ - ٥٣٢ هـ)
الطبر . د . بركات الهيبي : المرجع السابق ص ٩٦ .
(٩) هو الخليفة الثاني بنصر الله أبو القاسم عيسى (٥٤٩ - ٥٥٥ هـ) كانه الوزير عيسى في الدولة
مقتل أبيه (الظاهر بأمر الله) وكان عمه خمس سنين ثم استولى الظاهر في عشرين رجب سنة ٥٥٥ هـ . وكان سبعة
عمر والذي في سنة ثمان شهر فقص منها في الخلافة ست سنين وخمسة أشهر وأيام . المغربي :
وقد تولى أحد عشر سنة وشهر فقص منها في الخلافة ست سنين وخمسة أشهر وأيام . المغربي :
المرجع السابق ج ٢ ص ١٧٣ طبع الآداب .
(١٠) الأمر هو جو فصل الخبز أنواع الغلال المتوقعة بالخاصة احتياطياً للتغلب على نقصان
ولا تقع إلا عند الضرورة . وكان كل من أراد بيع غلة توجه إلى الأهراء ليبعها . وكان الأهراء يسعون
وله ظاهر يسمى لأهراء وينفق عليها ما يولف به عليها . وتعرف الأهراء في مصطلحات الحديث
بالسوية . محمد حسن النقي : الترميز : مصطلحات صحيح الأئمة ص ٥٠ .

التجار و الطحانين و الحجازيين ، وقالوا " إنها الأمير ! في بعض من حرق ثمانية ،
وخرج لخرج الغلة ، وندبر الطواحين ، ونعمر الأسواق بالخبز ، وزحش الأمر . على
الناس ، وبيع الخبز رطلاً بدرهم " . فقال " ما يقع الناس منك هذا " فقالوا
٢٧ " رطلين " ، فأجابه بعد الضراعة ، ووفوا بالشرط . وتدارك الله الخبز وأحصى
النيل ، وسكنت الفش ، وزرع الناس وتلاحق الخير ، وانكشفت الشدة ، ورجعت
الكرمة . وخرجت هذه الغلات مشهور ^(١) ، وفي هذا القدر كفاية من التعريف بها ،
والله يفيض وييسر وييسر وييسر .

ثم وقع غلاء في أيام الخليفة الأمر بأحكام الله ^(٢) ، ووزارة الأفض ، بلغ
القمع فيه كل مائة أردب ثمانية وثلاثين ديناراً ، فتقدم الخليفة إلى القائد أبي عبد الله
بن قاتك - الملقب بعد ذلك بالمأمون البطاحي - أن يدبر الحال ، فخدم عيسى
مخازن الغلات ، وأحضر أربابها وخبرهم في أن تبقى غلاتهم تحت الحشم إلى أن
يصل المثل الجديد أو أن يفرج عنها وتباع ثلاثين ديناراً كل مائة أردب . فحسن
أحاب أفرج عنه ، وباع بالسعر المذكور ، ومن لم يحب أن يفسد الحشم على
حواسله . وقدر ما يحتاج إليه الناس في كل يوم من الغلة ، وقدر الغلال التي أجاب
التجار إلى بيعها بالسعر المعين ، وما تدعو إليه الحاجة بعد ذلك بيع من غلات
الديوان على الطحانين بالسعر . فلم يزل الأمر على ذلك إلى أن دخلت الغلة
٢٨ الجديدة ، فاختلت الأسعار ، واضطر أصحاب الغلة المخزونة إلى بيعها بخسنة من

(١) هذه الشدة عرفت في كتب المؤرخين بالشدة الطغي . الفهرست المغربي : المواقف والإعجاز : ج ٢
ص ١٧١ طبعية الآداب . و محمد عبد الله عقال : مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المعمورة ص ١٥٠ ،
١٥١ .
(٢) الأمر بأحكام الله (٤٩٥ - ٥٢٤ هـ) . تولى الأمر بأحكام الله أبو علي المنصور الثلاثة بمصر وفاة
والده المستعلي بالله سنة ٤٩٥ هـ ، وكان عمره حين تولى الحكم خمس سنوات ، ثم استبد الوزير الأفضل
من بحر الجمالي بالسلطة ولم يبق لأمر من الخلافة إلا اسمها . ولكن عندما بلغ الأمر من الرشد دبس
مؤامرة مع عدل الله بن محمد البطاحي أحد خواص الأفضل ونشروا من الأفضل وتولى البطاحي
الوزارة بدلاً منه وقلبت حياة الأمر فقتل في ١٤ ذي القعدة سنة ٥٢٤ هـ بغير تفرق من التزارية قبيل
نزول بن الخليفة المستنصر وكان له أنوار في مصر هروث في الأمر وأباد المستعلي ولما الخلافة لموت وجه
حق أنظر . د . جمال الدين - سرور : الدولة الفاطمية : عظمى كتاب تاريخ مصر غير المنصور ص ٢٨٤ - ٢٨٦ .

٢٩ ما لا يخصى ، فأخرج جملة كثيرة من الغلال وفرقتها على الطحانين ، وأرخسـ
سعرها ومنع من احتكارها ، وأمر الناس ببيع الموجود / منها وتصدق على جماعة
من التحملين والفقراء بجملة كثيرة . وتصدق سيف الدين حسين وغيره مسن
الأمراء وأرباب الجهات بالفقر ما تنفس عن الناس ، ولم يستمر الحال على ذلك
سوى مدة يسيرة ، حتى فرج الله ، وهجم الرخاء .

ثم وقع الغلاء في الدولة الأيوبية وسلطنة العادل أبي بكر بن أيوب^(١) ،

في سنة ست وتسعين وخمسة [٥٩٦هـ] : و كان سبه توقف النيل عن الزيادة
وقصوره عن العادة ، فانتهت الزيادة إلى اثني عشر ذراعاً وأصابع . فتكثر محسـ
الناس من القرى إلى القاهرة من الجوع ، ودخل فصل الربيع نهباً هواء أعقبه وباء
وفناء ، وعدم القوت حتى أكل الناس صفاً بني آدم من الجسوع ؛ فكسان الأب
ياكل ابنه مشوياً ومطبوخاً ، و المرأة تاكل ولدها ، فوقب جماعة بسبب ذلك .
ثم فشا الأمر وأعياء الحكام ، فكان يوجد بين ثياب الرجل و المرأة كنف صغير أو
فخذ أو شيء من لحمه ، ويدخل بعضهم إلى حارة فيحد القير على النار فينظرها
حتى تنهيا ، فإذا هي لحم طفل ؛ وأكثر ما يوجد ذلك في / أكابر البيوت . ووجدت
لحوم الأطفال بالأسواق والطرقات مع الرجال والنساء مخفية ، وغرق^(٢) في
دون^(٣) شهرين ثلاثون امرأة سبب ذلك . ثم تزايد الأمر حتى صار غذاء الكثير من
الناس لحوم بني آدم بحيث ألغوه ، وفل منهم من لعدم القوت من جميع الجسور
وسائر الحضرات وكل ما نبتت الأرض . فلما كان آخر الربيع احترق ماء النيل في

(١) الملل سيف الدين أبو بكر أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي ووقع سلاطين الدولة الأيوبية ، حكمه
مصر في الفترة من سنة ٥٩٥هـ إلى سنة ٦١٥هـ .

(٢) اعتقد أنها (حرق) لا (غرق) وقد ورد في كتاب (الإلهة والاعتبار) ما يؤيد ذلك حيث فُكسر
صاحب الإلهة والاعتبار ما يلي : لقد أحرق بمصر خلاصة في أيام بسيرة ثلاثون امرأة كل منهن ثغر فيها
كلكت جماعة ، فظهر عند التطييف البندقي : الإلهة والاعتبار ص ٩٤ . نص الكتاب منشور في كتاب :
بول غيلوليس : عبد الطيف البندقي طبيب القرن للعصر الجعري شخصيته وإنجازاته .

(٣) قل من .

برمودة حتى صار القياس في بر مصر ، وانخر الماء مه^(١) إلى بر الجزيرة ؛ وتفسير
طقم الماء وريته . ثم أخذ الماء في الزيادة قليلاً قليلاً إلى السادس عشر من مسرى ،
فزاد إصباعاً واحداً ، ثم وقف أياماً ، وأخذ في زيادة قوية أكثرها ذراعاً إلى أن بلغ
خمسة عشر ذراعاً وستة عشر إصباعاً ، ثم أخط من يومه ، فلم تنفع به البلاد
لسرعة نزوله . وكان أهل القرى قد قنوا ، حتى أن القرية التي كان فيها خمسمائة
نفس لم يتأخر^(٢) بها سوى اثنين أو ثلاثة ، ولم تُعمر الجسور ولا مصالح البلاد لعدم
البقر فإنما فقدت ؛ حتى بيع الرأس الواحد من البقر بـسعين ديناراً ، والغريل بستين
ديناراً . وحافت^(٣) الطرق كلها بمصر والقاهرة وسائر دروب التواحيـ بجميع
الأقاليم من كثرة الموتان ، و ما زرع على فلاة أكلته الدودة ، ولم يمكن رده لعدم
التقاوى والأبقار . واستمر أكل لحوم الأطفال ، وعدم الدجاج جملة ؛ وكانت
الأقران إنما يوجد فيها بأحشاب البيوت . وكانت جماعة من أهل السـ يخرجون في
الليل ويحطون من المساكن الخالية ، فإذا أصبحوا باعوها . وكانت الأثرة كلها
بالقاهرة ومصر لا يرى فيها من الدور المسكونة إلا القليل . وكان الرجل بالريف
في أسفل مصر وأعلامها يموت ويده الخراث ، فيخرج آخر للحـ فيصيده ما
أصاب الأول . واستمر النيل ثلاث / سنين متوالية لم يتلغ منه إلا القليل ، فبلغ
الأردب من القمح إلى ثمانية دنانير . وأطلق العادل للفقراء شيئاً من الذابل ، وقسم
الفقراء على أرباب الأموال ، وأخذ منهم اثني عشر ألف نفس ، وحملهم في
مناج^(٤) القصر ، وأفاض عليهم القوت ؛ وكذلك فعل جميع الأمراء وأرباب السعة

(١) في (و) : عنه .

(٢) لم يتأخر جها .

(٣) جافت : أي نبتت وصارت كالخبيبة ، الغير وريادي : القاموس المحيط : باب الغاء فصل الجهم .

(٤) المناج : تجمع مناجات من الشك الذي يحتاج به الحال ، وكنت هذه التسمية منذ أيام النورية القاضي

و كان يطلق على عدة من الحواصل و المغازن ، منها ما كان لطنش قبائل الترمه للبرابـ القصور .

والخبيبة و خبر ما و منها ما كان لغزن الأخشاب والحديد والآلات والألعة و كان الصناع يسمي هذه

الأكعة من الخاشين والجرازين والسمانين والخياطين والقلمة من أسرى الحروب من التوزيع و كتاب

يقولون به محمد أنيل القتي : المروج السابق ص ١٣١ .

والثراء ، وكان الواحد من أهل النافذة إذا ابتاع بطنه بالطعام بعد حصول الطوارئ سقط مينا ، فيُدْفَنُ منهم كل يوم العدة الزائرة ، حتى أن العادل قام في مدة يسيرة بموراة نحو مائتي ألف وعشرين ألف ميت ؛ فإن الناس كانوا يتساقطون في الطرقات من الجوع ، ولا يمضي يوم حتى يؤكل عِدَّةٌ من بيتي آدم . وتَنَطَّلَتِ الصنائع ، وتلاشت الأحوال ، وفيت الأقوات والغنوم حتى قيل : " سنة مَنَعُ اقترست أسباب الحياة " ، ولما أغاث الله الخلق بالنيل لم يوجد أحدٌ نَحَرَتْ أو تَزَرَع ، فخرج الأجناد بفيلهم وتولوا ذلك بأنفسهم ، ولم تَزَرَع أكثر البلاد لعدم الفلاح ، وعدمت الحيوانات جملة ، فبيع فروجُ بنيارين ونصف ؛ ووسع ذلك كانت المخازن مملوكة غلالا . والخيز منير للوجود بهاع كسل رطبل بدرهم ونصف ، وزعم كثير من أرباب الأموال أن هذا الغلاء كسني يوسف عليه السلام ، وطبع أن يشتري بما عنده من الأقوات أموال أهل مصر وتونسهم ، فأمسك الغلال وامتنع من بيعها . فلما وقع الرعاء ساست^(١) كلها ولم يُتَبَقَّ بما فرماها ، وأصيب كثير ممن اتقى المال من الغلال ، فبعضهم مات عقب ذلك شرس ميتة ، وبعضهم أجبغ في ماله ؛ إن رُكِّعَ لِبِالمِصَاد وهو الفَقَالُ لِمَا يُرِيدُ .

ثم وقع غلاء بالدولة التركية^(٢) بسلطنة العادل كُتُبُهَا^(٣) ، في سنة ست

(١) أي اعتراما للسوم .
(٢) الدولة التركية : بلغت بها دولة السلاطنة البحرية وتلك لهم كانوا من جنس الأتراك ولشئت القوة هذه الدولة بين عامي ٦٤٨ - ٧٨٤ هـ أي حوالي ١٢٦ سنة وسبعة أشهر وتقلب على الحكم في زمن هذه الدولة ٢٤ سلطانا . ويرجع السبب في تسببهم بالحرية في اختيار الصالح لِمَا يَنْبَغُ لَوَبِ السُوءِ كان صاحب الفضل في تكوين هذه الفرقة جزيرة الروضة في بحر النيل مركزا لهم . المقريزي : القواعظ والأعيان ج ٢ ص ٢٨٤ وما بعدها ط. الأدب . د. سبعة عشر : مصر في العصور الوسطى ص ١٢٧ ، أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي ج ٥ ص ٢٢٦ . بيبرس المنصوري : الثقافة السلوكية في الدولة التركية . تحقيق د. عبد الحميد صالح ص ٢٢ - ٢٧ .

(٣) شال كُتُبُهَا (٦٩٤ - ٦٩٦ هـ) السلطان الملك الناصر زين الدين كتبها المنصوري أحد صفايك الشك المنصور لعلهم تولي الحكم في سنة ٦٩٤ هـ وتلقب بملك العادل وكانت له أربعة عشر ولما فيها من قصور مد النيل وغلاء الأسماك وكثرة الزبالة في النيل وتوطئت بمصر طوائف من الفسول تعرف بالأويرانية حلت فيها بأمر منه واستقل لأحد نائب السلطنة فرصة الصعاب التي كانت في وجه كتبها وتزايدت الخطب عليه لكي يتأخر مع بعض الأمراء على خلقه ، فالتفت لفرصة وجوده في الشام وحموا على خدمته لغير كتبه إلى دمشق واخفى بها واتفق الأمراء على خلق كتبه وتولية لأحد بدلا منه وكانت مدة

وتسعين وستمائة [٦٩٦ هـ] : وذلك أن بلاد تربة لم تَطْرَ ، فتقطعت بلادها ؛ وحقت الأعين منها ، وعم أهلها الجوع لعدم القوات ، فخرج منها نحو من ثلاثين ألف نفس بعيالهم وأتباعهم يريدون مصر ، فهلك معظمهم جوعا وعطشا ؛ ووصل اليسير منهم في جهد وقلة . وتأخر الوسمي^(١) ببلاد الشام حتى فات أوان الزرع ، فاستسقوا ثلاثا فلم يسقوا ، ثم اجتمع الكافة وخرجوا للاستسقاء ، وضحوا وابتهلوا إلى الله سبحانه ، فأغاثهم وسقاهم حتى رجعوا في المياه إلى البلد ، ووقف النيل بمصر عن الزيادة ، فخرجت الأسعار . وتأخر المطر ببلاد القدس والساحل حتى فات أوان الزرع ، وحقت الآبار ، ونضب ماء عين سلوان بالقدس . في كان يبلغ ماء النيل / في هذه السنة أعني سنة أربع وتسعين [٦٩٤ هـ] ستة عشر ذراعاً وسبع عشرة إصبعا ، ونزل سريعا ، وكسر بحر أبي النعلا^(٢) قبل أوانه بثلاثة أيام خوفا من النقص ؛ فبلغ كل أردب من القمح إلى مائة درهم ، والشعير إلى ستين ، والقول إلى خمسين ، واللحم إلى ثلاثة دراهم الرطل^(٣) ، فأخرجت الغلال من الأكراد ، وفزقت في المعابر والجرايات لكل صاحب جرابه^(٤) ست جرابيات في شهرين . وكان راتب البيوت والجرايات لأرباب الرواتب في كل يوم خمسين

حكمه سلتون وسبعة عشر يوما حيث عزل سنة ٦٩٦ هـ . المقريزي : القواعظ والأعيان ج ٢ ص ٢٨٨ ، الأدب . د. محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك وتواجه العلمي والأمني ج ١ ص ٣٩ ، أحمد حنين : موسوعة تاريخ مصر ج ٢ ص ٧٠٩ ، ٧٠٨ .
(١) الوسمي : هو أول السلطان أو مطر الحريف وسمي بذلك لأن يوم الأرض بالنبات ومنه محمول لآفة الأول . محمد قنديل البقي : المرجع السابق ص ٣٦٦ .
(٢) بحر أبي النعلا : أنشأ هذه التربة سنة ٥٠٦ هـ الأمل شاهنشاه وزير الخليفة السلطاني الأكبر تروى منها أن نسي التركية وتساعد على زرع أراضي القلا . وتعمل هذه التربة لم مهنتها اليهودي لها الصبا وكان فتح هذه التربة عقب قيام شيل بالحق بمصر . حضر لشقاء له من بابوب وغيره وهو تفرد من العلة الأولى للنيل على بعد ٥٠٠ أميال شمال شبرا ونهر من تحت لخرة كثيرة من الحطب ، عرفت باسم لخرة في النعلا . المقريزي : القواعظ والأعيان ج ١ ص ١١٥ ط. الأدب . عبا الرحمن عند النيل : منشآت المائية عبر التاريخ ص ٤٩ .
(٣) الرطل : هو معيار يوزن به ؛ وكسر أشهر من قنطرة وهو بالهندية أنشأ عشرة أولية . المقريزي : القواعظ والأعيان ج ١ ص ٣٩ ، الأدب . د. أحمد حنين : موسوعة تاريخ مصر ج ٢ ص ٧٠٩ ، ٧٠٨ .
(٤) جراب : مادة الرطل . الزاد والقراء وما يشبهها . أما تعريفه في القاموس المحيطة : الرطل ويكر ثلثا عشر أولية والأولية أربعون درهما . باب الدائم لفضل الزاد .
(٥) حربة تسمى وكلة والحارب من الرواتب ولجمع ملها حريات وتعمل نظاما يحدد ما يستهلكه كل فرد من بعض الشئ .

وستمائة أردب ، ما ينفق عليه شعير ؛ وراتب إخوانه^(١) عشرين ألف رطل لحم في اليوم . وكان قد ظهر الخلل في الدولة لفئة المال وكثرة النفقات ، فتعددت المصادرات للولاة والمباشرين ، وطُرحت البضائع بأعلى الأثمان على التجار .

ودخلت سنة خمس وتسعين [٦٩٥ هـ] والناس شدة من الغلاء وقلّة الواصل ، إلا أنهم يُمتنون أنفسهم بمحى الغلال الجديدة ، وكان قد قرب أوانها . فعند إدراك الغلال هبت ريح سوداء مظلمة من نحو بلاد برقة هبوباً عاصفاً ، وحملت تراباً أصفر كسا زروع تلك البلاد ، فهافت^(٢) كلها ، ولم يكن بها إذ ذاك إلا زرع قليل ، ففسدت بأجمعها ، وعمت تلك الريح والتراب إقليم البحيرة والغربية وإقليم / الشرقية ، ومرت إلى الصعيد الأعلى ، فهافت الزرع ، وفسد الصيفي من الزرع ؛ كالأرز والسمسم والفلنس وقصب السكر ، وسائر ما يزرع على السواقي ؛ فتزايدت الأسعار . وأعقبت تلك الريح أمراض وحُميات عممت سائر الناس ، فترع سعر السكر والعسل وما يحتاج إليه المرضى ، وعلمت الفواكه ؛ وأبيع الفروج بثلاثين درهماً ، والبطيخة بأربعين ، والرطل من البطيخ بدرهم ، والسفرجل ثلاث حبات بدرهم ، والبيض كل ثلاث حبات بدرهم . وتزايد القمح إلى مائة وتسعين الأردب ، والشعير إلى مائة وعشرين ، والفول والعنس إلى مائة وعشرة دراهم الأردب . وأتحتطت بلاد القدس والساحل ومدن الشام إلى حلب . فبلغت الغرارة^(٣) القمح إلى مائتي درهم وعشرين ، والشعير بالنصف من ذلك ؛ واللحم الرطل إلى عشرة دراهم ، والفاكهة إلى أربعة أمثالها ، وكان

(١) الحواشي خاتمه لفظ مركب من كلمتين حواشي وهي عربية وخاتمه وهي فارسية ومعناها بيت الحواشي وهي الجهة التي يصرف منها اللحم للراتب للمطبخ السلطاني والنور السلطانية ورواتب الأمراء والمماليك السلطانية وسائر الجند وغيرهم من أرباب الرواتب الذين تملأ أسماؤهم بالنفقات . د. سعيد عاشور : العصر المملوكي في مصر والشام ص ١١٦ .

(٢) هافت : من الهيف وهو شدة العطش والمقصود هنا جف الزرع

(٣) للغرارة : وعاء من الخشب وتحوه توضع فيه الحبوب ، الجمع منه غرارة ، والغرارة تعادل إربما ونصف . ابن ممتلي : قوانين التواوين ص ٣٦٥ .

بلاد الكرك والشوبك وبلاد الساحل لما يرصد للمهمات والبواكر^(١) ما ينفق عن عشرين ألف غرارة ، فحُمِلت إلى الأمصار . وأتحتطت مكة ، فبلغ الأردب من^(٢) القمح بما إلى تسعمائة درهم ، والشعير إلى سبعمائة ، فرحل أهلها حتى لم يبق بها إلا اليسير من الناس . ونزحت سكان قرى الحجاز . وعدم القوات ببلاد اليمن واشتد بها الوباء ؛ فباعوا أولادهم في شراء القوات ، وفرّوا إلى نحو حلي بني يعقوب^(٣) ، فالتقوا / بأهل مكة ، وضاعت بهم البلاد فقنوا كلهم بالجوع إلا طائفة ٢٥ قليلة . وقحطت بلاد الشرق ، وعدمت دواهم ، وهلكت مراعيهم ، وأمسك القطر^(٤) عنهم . واشتد الأمر بمصر ، وكثر الناس ما من أهل الآفاق ؛ فعظم الجوع ، و انتهب الخبز من الأفران والخوانيت ، حتى كان العجين إذا خرج إلى الفرن انتهبه الناس فلا يُحمل إلى الفرن ، ولا يخرج الخبز منه إلا ومعه عدة يحمونه بالعصى من النهاية . فكان من الناس من يلقي نفسه على الخبز ليخطف منه ولا يبالي بما ينال رأسه وبدنه من الضرب ؛ لشدة ما نزل به من الجوع .

فلما تجاوز الأمر الحد ، أمر السلطان بجمع الفقراء وذوي الحاجات ، وفرقهم على الأمراء ، فأرسل إلى أمير المائة^(٥) مائة فقير ، وإلى أمير الخمسين خمسين ، حتى كان لأمر العشرة عشرة ، فكان من الأمراء من يطعم سهمه من

(١) البواكر : مشتقة من لفظ بيكار الفارسي الذي يعني الحرب وعربت هذه الكلمة وأصبحت بيكار وجمعها بواكير وبياكير وعرفت كمصطلح في عهد الدولة المملوكية للدلالة على الحرب عامة والحمولات الحربية . قرهنگ طلاتي : محمد التونجي : المعجم الذهبي : فارسي / عربي ، د. سعيد عاشور : المرجع السابق ص ٤٠٦ .

(٢) إضافة من (و) .

(٣) حلي بني يعقوب : بلد يائمن على ساحل البحر .

(٤) القطر : المطر .

(٥) أمير مائة : المرتبة الأولى بين مراتب الأمراء في عصر المماليك أي أعلى طبقات الأمراء في الجيش المملوكي ، وأقل منها أمراء الطبقات ثم أمراء المشراف ثم أمراء الخمسات ثم الأجناد من المماليك السلطانية وأجناد الحققة . وكان من قواعده رتبة أمير المائة أن صاحبها يتكفل بالإشراف على مائة فارس وفي الوقت نفسه يقف على ألف فارس من دونه أي يتولى قيادتهم أثناء المعركة ولذلك اصطلاح على تسميته في هذا العصر بأسير مائة ومقدم ألف وربما اكتفى بأحد الأسيرين . د. حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار المصرية : ج ١ ص ٢٤٩ - ٢٥١ .

الفقراء لحم الفطر مشروداً في مرققة الخبز، بمدده لهم سحاطا يأكلون جميعاً، وفيهم من يعطي فقراءه رغيفاً، وبعضهم كان يفرق الكعك، وبعضهم يعطي رقائقاً، فنخف ما بالباس من الفقر. وعظم الوباء في الأرياف والقرى، وفشت الأمراض بالقاهرة ومصر، وعظم الموتان، وطلبت الأدوية للفرس، قباع عطار بـسركس حسارة الدبلم^(١) من القاهرة في شهر وأحد يبلغ اثنين وثلاثين ألف درهم، ويسع من دكان يعرف "بالشريف عطوف" من سوق السيوفيين بمثل ذلك. وكذلك حانوت بالوزيرية، وآخر خارج باب زويلة^(٢) - بيع في كل واحد منها بنحو من مثل ذلك، وطلب الأطباء، وبلت لهم الأموال، وكثر تحصيلهم، فكان كسب الواحد منهم في اليوم مائة درهم. ثم أعيا الناس كثرة الموت، فبلت عدة من/يرد اسمه الديوان السلطاني في اليوم ما ينيف عن ثلاثة آلاف نفوس، وأما الطرحاء^(٣) فلم يحصر عددهم بحيث ضاقت الأرض بهم، وحفرت لهم الآبار والحفائر وألقوا فيها، وحافت الطرق والوهادي والأسواق من الموتى، وكثر أكل لحوم بني آدم خصوصاً الأطفال، فكان يوجد الميت وعند رأسه لحم الآدمي، ويمسك بعضهم فيوجد معه كنف صغير أو فخذه أو شيء من لحمه. وحلت الضياع من أهلها، حتى إن القرية التي كان بها مائة نفس لم يتأخر محسا إلا نحو العشرين، وكان أكثرهم يوجد ميتاً في مزروع النول لا يزال يأكل منه إذا وحده

(١) حارة الدبلم: إحدى حارات القاهرة القديمة، غرت بهذا الاسم لمرور الهاء، ودطانة مسكن الترك الذين وصلوا مع حنكرك الشريفي حين قدومه إلى مصر. أورد مؤرخ معسر الناس النوسبي وحده عن الدبلم والأكراك في عام ٣١٨ هـ فسكنوا بها فمرت بهم، ويقال في المنطقة التي تشتمل اليوم عدة طرق عليها شارع حوشقند وحارة الدماء وعطلة الشبلي وشارع الكعكس وشارع زويلة وشارع حمام العصاة بقسم الشرق الأحمر. المقيري: الحفشة: ج ١٢ ط ١٢٠. عتبت الرحمن زكي: موسوعة مدينة القاهرة ص ٨٢.

(٢) باب زويلة: أحد أبواب القاهرة القديمة في سورها الغربي لباب الجيوش بئر الجمالي لسي سنة ٤٨٥ هـ وكان يواجه تقريباً باب زويلة الذي كان في حوزة ذلك وهو قد دُبر. وباب زويلة العامة لخير أبواب القاهرة. د. عبد الرحمن زكي: المرجع السابق ص ٢١.

(٣) الذين لقنوا في الطرقت حين موتهم دون أن يموتوا بنفهم.

حتى يموت، ولا يستطيع الحراس رؤيته^(١) لكرهم. ومع ذلك زكت الغلال في الكيل أضعاف المفهوم؛ ولقد كان للأخير فحصر الدين الطسما المساحي من جملة زرعه مائة فدان قول، لم يجمع أحياناً من الأكل منها في موضع الزرع، ولم يمكن أحياناً أن يحمل منه شيئاً. فلما كان أوان السدس لم يرض عن وكل إليه أمر الزرع حتى تخرج بنفسه، ووقف على أحران تلك المائنة فدان القول، فإذا تل عظيم من القشر الذي أكل الفقراء قوله أخضر، فطاف به وقشه فلم يجد به شيئاً من القول؛ فأمر به عند انقضاء شغله أن يُنزل ليتفع بقبه، فحصل منه سبعمئة وستون أردبا، فمُد ذلك من بركة الصدقة وفائدة أعمال البر «والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم».

وكثرت أرباح التجار والباعة، وازدادت فوائدهم؛ فكان الواحد من الباعة يستفيد في اليوم المائنة والمائتين، ويصيب الأقل من السوق رئيساً في اليوم ثلاثين درهماً. وكذلك كانت مكاسب أرباب الصنائع، واكفروا بذلك طسول / الغلاء. وأصيب جماعة كثيرة ممن ربح في الغلال - من الأمراء والجد وغيرهم - في مدة الغلاء؛ إما في نفسه بأثمة من الأثام، أو بالثلاف ماله الثلاف الشنيع، حتى لم يتفع؛ فلقد كان لبعضهم ستمائة أردب باعها بـسرة مائة وخمسين الأردب وبأزيد من ذلك، فلما ارتفع السعر عثاً باع به تدم على بيعه الأول حيث لم ينفعه الندم؛ فلما صار إليه من الغلال أنفق معظمه في عمارة^(٢) دار وزخرفتها، وبالغ في تحصيلها وإجادتها، حتى إذا فرغت وظن أنه قادر عليها أتاها أمر ربحها فاحترقت بأجمعها، وأصبحت لا يتفع بها بشئ.

وحصلت الفتنة بين السلطان والأمراء، وتوقفت أحوال الوزير فقهر الدين من الحلي، وازداد ظلم أتباع السلطان وعماليكه، وتكاثر جورهم، وعظم

(١) أي منهم ولم يمدده
(٢) عمارة: بناء

طمعهم في أخذ الرافضين^(١) والحمايات^(٢)، وكثر عسفهم وغصتهم من الأمراء. ولعبت الناس في الفلوس كذا ضربت، فتودي أن يستقر الرطل منها بلرمين وزنة الفلوس درهم؛ هذا أول ما عرفت من وزن الفلوس. واشتد ظلم الوزير - وهو صاحب فخر الدين بن الخليلي - لتوقف أحوال الدولة من كثرة الكلفة؛ فأرصد متحصل الموارث^(٣) للفناء والعشاء، وأخذ الأموال الموروثة ولو كان الوارث ولداً أو غيره. فإذا طالبه الولد بمواريث أبيه، أو الوارث بما أنخر إليه من الإرث، كلته إلى إنبات نسبه أو استحقاته، فلا يكاد يثبت ذلك إلا بعد عشاء طويل ومشقة، فإذا تم الإنبات أحاله على الموارث، حتى إذا مات آخر وله مال ووارث من ولد - ذكر أو غيره - فعمل معهم كذلك، فتعجز الورثة من الطلب فتترك المطالبة.

واشتد الأمر على التجار لرمي البضائع عليهم بزيادة الأثمان والقيس، وكثرت المصادرات^(٤) في الولاة وأرباب الأموال، وعظم الجسور على أهل النواحي، وحملت التفاوي السلطانية من الضياع. واشتد الأمر على أهل دمشق ونابلس وعلبك والقنقاع وغيرها، وكانت أيام في غاية الشدة من الغلاء وكثرة الأمراض والموت وعموم الظلم.

(١) الرافضين: عرف القريزي الرافضين في كتابه الخط ج ١ ص ١٧٩ في باب أقسام مال مصر. وأما الرافضين وهم الأموال التي تؤخذ من ولاية الدولة ومحتسبها وأقسائها وعملها فأول من عمل ذلك بمصر الصالح بن زريك في ولاية النواحي فقط، ثم بطل وعمل في أيام العزيز بن صلاح الدين الأيوبي، أحياناً وعمله الأمير شجون في الولاة فقط، ثم أخذ فيه الظاهر برفوق كما يأتي في أسباب الغراب.

(٢) الحمايات: جمع حماية وهي مكوس يرضعها الأمير أو السلطان أحياناً على بعض الأراضي والمتاجر وشركات الأرباح. وقد أطلق عليها الأمير قباد الأكبر شخصاً الذي يفسخ له العسكر المقر محمد قنديل القلي: المرجع السابق ص ١١٠.

(٣) الموارث: ويقصد بها هنا الموارث العشيرة وهي: متى من يموت وأبوه له وراثته خاص بقرينة أو نكاح أو ولاية، أو الباقي بعد القرض من مال من يموت وله وراثته لا يستغرق جميع المال ولا عاصبه له. القنقاع: صبيح الأعشى ج ٢ ص ٤٦٠، معدن قنديل القلي: المرجع السابق ص ٣٣٤.

(٤) المصادرات: جمع مصادرة وهي غزوة مقررة ولحمة اللدنة، مثلها الحال سواء كان بالضعفان أو بالمطالبة أو بالاعتلاء عليه بالقوة لصالح الدولة لكونه لا يكون لشخص المال حتى الاعتراض. د. بديوي بسامع الشريفي: مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) ج ١ ص ٢٣.

ورقع بأخر هذا الغلاء أنعموبة في غاية الغرابة لم يُسمع بمثلها: وهو أن رحلا من أهل الفلج نجبة عسأل - إحدى قرى دمشق الشام - خرج بشره ليرة الماء. فإذا عديقه من الدلاحين قد وردوا الماء، فسأروا^(١) النور ح - إذا اكتفى نطق بلسان فصيح أسمع من بالمورد وقال: "الحمد لله والشكر له". إن الله تعالى وعد هذه الأمة سبع سبب عديقه، فشفع لهم النبي ﷺ، وإن الرسل - أول أمره أن يبلغ ذلك، وأنه قال: يا رسول الله فما علامة صدقي عندهم؟ قال: أن تموت بعد تبليغ الرسالة"، وأنه بعد فراغ كلامه صعد إلى مكان مرتفع وسقط منه ومات. فسامع به أهل القرية، وجاءوا من كل حذب يسلمون، فبطلوا شعره وعظامه للترك، فكانوا إذا سخرأوا به موعوكاً برئ. وعمل بذلك محضر مشورت على قاضي البلد، وحُمل إلى السلطان بمصر، فوقف عليه الأمراء، واشتهر بين الناس خبره وشاع ذكره.

وعقب ذلك اختلت الأسعار، وجاء الله بالفرج، وفي خلقكم وما يش من دابة آيات تقوم بوقوت؛ واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات تقوم بوقوتكم.

وفي أول شهر رجب سنة ست وثلاثين وسبعمائة [٧٣٦هـ] وقع الغلاء بالدمار المصرية في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون^(٢)، وعز القمح، ووصل كسل أرب

(١) نور - نير شرب.

(٢) السلطان الناصر محمد بن قلاوون: ٦٩٦ - ٦٩٨هـ - ٧٠٨ - ٧٠٩هـ.

الثانية - ٧٠٩ - ٧١٠هـ السلطنة الثالثة.

هو الآن الثالث فقلوب تولى بعد أخيه الشريف خليل، وقد تولى الناصر حكم ثلاث مرات وسمي تولى في المرة الأولى في الخامسة من عمره، ثم في الثانية كان في الرابعة عشرة، وفي المرة الثالثة كان قد اكتمل نموه وزاد فيه حيث أصبح في العقد الثالث من عمره. وقد دامت ولايته خمس سنوات وثمانين عاماً كانت مليئة بالأعمال الحربية. ويقول المؤرخون إن الظاهرة في عهد الناصر كانت - بسيرة (سيرة) شامة مشقة وتعبت لفراد على اليمن والحداد بالإصالة إلى مصر والشام وكان - بسيرة معد الصارده وله آثار كثيرة منها وصفه: د. أحمد شلي: المرجع السابق ص ٢٢٩ - ٢٣٠.

هذا الغلاء شوّنتين، ثم أغاث الله الخلق وأمرى الليل، فارتوت / الأراضى،^(١) وحصل الرخاء بعد ما خامر اليأس القلوب، وظنّ الكثير من الناس دوام تلك الشدة، واستبعد حصول الفرح^(٢) وهي حادثة شاهدهاها، وعنة أدركاها (وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد).



إلى سبعين درهماً، والقول إلى حسين، والخبز كل حصة أرطال بدرهم. ولا يكاد يوجد. وعدم القمح من الأسواق، وصار على كل دكان من دكاكين الجبازين عدة من النيس، وصار الخبز كالنخب^(٣) من السواد؛ فربّ الوالي على كل حانوت أربعة من أعوانه معهم المطارق لدفع الناس عن حوانيت الخبز لئلا يُنهب /، فضج الناس للسلطان واستغاثوا، فصيح الأمراء وقال لهم: "يا أميأء! شهر عليكم، وشهر على، وشهر على الله"، ففتح الأمراء الشون، فباعوا كل أردب بتلاتين درهماً، ففرّج عن الناس؛ ففتح السلطان حواصله في شعبان، وباع كل أردب بخمسة وعشرين درهماً. ودخل القول الجديد والشعر، فأكل الناس منه إلى أن دخل شهر رمضان، فعاء القمح الجديد، وأغلّ السعر.

ثم وقع الغلاء في أيام الأشرف شعبان^(٤)، وسيه قصور النيل في سنة ست وسبعين وسبعمائة^(٥) [٧٧٦هـ]، فلم يبلغ سنة عشر ذراعاً. وكسّر الخليج، فانخط الماء وارتفع السعر، فبلغ القمح كل أردب إلى مائة وخمسين درهماً، والشعير إلى مائة، والخبز إلى رطل ونصف درهم، وعزّت الأقوات وقبّل وجودها، فمات الكثير من الجوع حتى امتلأت الطرقات؛ وأعقب ذلك وباء مات فيه كثير من الناس. وفي هذا الغلاء بلغ القروج إلى مائة درهم فما فوقها، والبطيخة إلى مائة وخمسين؛ وكان السائل يطلب النباة ليشمها، ويصبح حتى يموت؛ فأمر السلطان بجمع الفقراء، وفرّجهم على الأمراء ومياسير النخار. ودام

(١) النخب: بعض السن عصاره اللبن.
(٢) الأشرف شعبان بن حسين ٧٦٤ - ٧٧٨هـ: هو أبو المصطفى زين الدين شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون ولي الملك بعد خلع ابن عمه المنصور عاد ٧٦٤هـ وكانت سنة العائنة. وفي عهده عزّ صاحب قبره من مدينة الإسكندرية وغيرها، وقد ثبت في عهد ذلك السلطان فنّ معتد.
... محمود رزقي سليم: عصر سلاطين المماليك: ج ١ ص ٢٩.
(٣) في عصر دولة المماليك البحرية حدث كل هذا قبلاه وباء عالمي أكبر في سنة ٧٤٩هـ وسمي بالوباء الأسود وبالقضاء الكبير وقد شمل كل بلدان الشرق الأدنى وأوروبا، وكان وباء شديداً حصصت مئيات الآلاف من البشر: فحسب حافظ الهمداني: ترويسات في منة القاهرة ص ١٨٩، والأرض القروزي لسي وصف هذا الوباء في كتابه السلوك في الجزء الثاني بعد الثالث.

فصل

في بيان الأسباب التي نشأت عنها هذه المحن التي نحن فيها حتى استمرت طول هذه الأزمان التي دفقنا إليها

اعلم - تولى الله أمرك بالحياطة^(١) والهداية - ولا أحسلاك مسن الكفاية والعناية، أن الغلاء الذي حل بالخلق منذ كانت الخليقة، فيما نُقل من أخبارها بسائر البلاد في قديم الزمان وحديثه، على ما عُرف من أحوال الوجود وطبيعة العمران، وعُلم من أخبار البشر، إنما يحدث من آفات سماوية في غالب الأمر؛ كقصور جرى النيل بمصر، وعدم نزول المطر بالشام والعراق والحجاز وغيره، أو آفة تصيب الغلال من سمائم^(٢) تحرقها أو رياح تميفها، أو جراد ياكلها، وما شابه ذلك؛ هذه عادة الله تعالى في الخلق، إذا خالفوا أمره وأتوا بحارمه أن يصيبهم بذلك جزاء بما كسبت أيديهم.

وأما هذا الأمر الذي حل بمصر فإنه بخلاف ما قدّمناه. ويأنه أن النيل قصر جريه في سنة ست وتسعين وسبعمائة [٧٩٦ هـ]. فشرق أكثر الأراضي، وتعطلت من الزراعة، فارتفعت الأسعار حتى بلغ سعر القمح إلى سبعين درهما الأردب، ثم أغاث الله سبحانه وتعالى الخلق بكثرة ماء النيل حتى عمّ الإقليم كله، فأحسب الناس لذلك الكثير من البذر، وكانت الغلات بأيديهم قليلة؛ لعدم زراعة أكثر البلاد في سنة ست وتسعين كما مر. لا حرم أن تزيد الأسعار، حتى بلغ سعر كل أردب من القمح إلى نحو مائتي درهم والشعير بمائة وخمسة

(١) الحياطة: الحفظ والصيانة.

(٢) سمائم: جمع سموم وهي الرياح الحارة وغالبا تكون بالهلال. الفيروز آبادي: القنوم المحيط بمسبله فيه فصل السين.

حتى بلغ سعر كل أردب من القمح إلى نحو مائتي درهم والشعير بمائة وخمسة دراهم. وهذه عادة بلاد مصر من الزمن القديم، إذا تأخر جري النيل مما أن يمتد الغلاء سين، فلما كان في هذه الغلات الجديدة في سنة ثمان وتسعين [٧٩٨ هـ]، اختلت الأسعار إلى أن درجت نحو ما كانت قبل حدوث الغلاء أو قريبا منه.

واستمر الأمر حتى مات الظاهر برقوق^(١) في نصف شوال سنة إحدى ومائمائة [٨٠١ هـ]، ولم يكن حينئذ بالفاهرة قمح، و[كان^(٢)] يبلغ ثلاثين درهما الأردب، فبيع في اليوم التالي لموته كل أردب من القمح بأسارعين درهما وتزايد حتى بيع في سنة اثنين ومائمائة [٨٠٢ هـ] ببضع وسبعين درهما الأردب، ومجداي الأمر كذلك إلى أن قصر مد النيل في سنة ست ومائمائة، فشنع الأمر وارتفعت الأسعار حتى تجاوز الأردب القمح أربع مائة درهم، وسرى ذلك في كل ما يباع من مأكول ومشروب وملبوس، وتزايدت أسعار الأجرء - كالبنة والعلبة وأرباب الصنائع والمهن - تزايدًا لم يُسمع بمثله فيما قريب من هذا الزمن، حتى جاء القوت من عند الله تعالى في سنة سبع ومائمائة [٨٠٧ هـ]. فكثر زيادة النيل، وعمّ النفع به الإقليم، فأحتاج الناس إلى البذر. وكانت الغلال تحسب أيدي أهل الدولة وغيرهم كثيرة جدا لأمرين: أحدهما احتكار الدولة الأقوات

(١) السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق بن آقس (٧٨٤-٧٩٠ هـ، ٧٩٢-٨٠١ هـ) وهو أول ملوك دولة المماليك الجركسية ونسب برقوق إلى الخوارج عثمان تاجر الرقيق الذي جلبه إلى مصر، وقد أسند الخط حتى وصل إلى الأتابكية في عهد الملك المنصور. على أن الأتراك شهاب الدين له أمور الدولة فسد دورها لأخيه من بعده ثم خلفه ووثب إلى مزارع الملك وأسمر فيه حتى سنة ٧٩٠ هـ حيث قتل عليه الأمر بزعامة يلبغا الناصري فكتب حب وخنوه وعينوا مكانه السلطان السلجوقي أمير حاج بن شهاب الدين في سنة ٧٩٢ هـ واستطاع برقوق وهلك في السلطنة حتى توفي سنة ٨٠١ هـ. ونسبهم حاج بن شهاب لنفسه سنة ٧٩٢ هـ واستطاع برقوق وهلك في السلطنة حتى توفي سنة ٨٠١ هـ. ونسبهم برقوق لشقيقه في عينه. وكان شهاب الدين خيرا بالأمور ولكنه كان طماعا بحيث لا يقبل على جمع المال شيئا. ومن آثاره القوية حتى الآن العنصرية القاسية بين المصريين. ابن حجر الملقب: إنباء للمصرين، شعور: ج ٢ ص ٦٦-٦٨، المقريزي: المواعظ والاعتبار: ج ٣ ص ٢٩١، ٢٩٢ ط الآداب.

(٢) زيادة في (و) لفظ.

وصيه الناس من الوصول إليها إلا بما أحسوا من الأمان ، والثاني زكاة^(١) الغلال في سنة ست ومئائتين [٨٠٦ هـ] ، فإنه حصل منها ما لم يسمع بمطله في هذا الزمن ، فأجل هذا وغيره مما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى ، تقام الأمر وحصل الخطب ، وعظم الرزء ، وعمت البلية وطشت ، حتى مات من أهل الإقليم بالهجوم والبرد ما ينيف عن نصف الناس ، وعم الموتان حتى نفقت الدواب في سنة ست و سنة سبع [٨٠٦-٨٠٧ هـ] وعز وجودها ، وبلغت أمانها إلى حدود نستحي من ذكره ، ونحن الآن في أوائل سنة ثمان ومئائتين [٨٠٨ هـ]^(٢) ، والأمسر فيها من اختلاف النقود وقلة ما يحتاج إليه وسوء التدبير وفساد الرأي في غايصة لا مرمى ورايعا من عظيم البلاء وشيع الأمر .

وسبب ذلك كله ثلاثة أشياء لا رابع لها :-

السبب الأول ، وهو أصل هذا الفساد : ولاية المخطط السلطانية والمناسب الدينية بالرشوة ، كالوزارة والقضاء ونيابة الأقاليم وولاية الحسبة وسائر الأعمال؛ بحيث لا يمكن التوصل إلى شيء منها إلا بالمال الجزيل ، فتخطى لأجل ذلك كل جاهل ومفسد وظالم وباغ إلى ما لم يكن يؤمله من الأعمال الجلييلة والولايات العظيمة ، لتوصله بأحد حواشي السلطان ، ووعده بمال للسلطان على ما يريد من الأعمال ، فلم يكن بأسرع من تقلده ذلك العمل وتسليمه إياه وليس معه مما وعد به شيء قل ولا جل ، ولا يجد سبيلا إلى أداء ما وعد به إلا باستدانته بنحو الصف مما وعد به ، مع ما يحتاج إليه من شلوة وزبي وخيول وخدم وغيره ، فتضاعف من أجل ذلك عليه الديون ، وبلازمه أربابها . لا حرم أنه / يغتض عيبه ولا يبالي بما أخذ من أنواع المال ، ولا عليه مما يتلقه في مقابلة ذلك من الأنفسي ،

(١) زكاة : أي لعمو وزبيدة .
(٢) هذا دليل صادق على تاريخ كتابة المخطوط في هذه القرعة .

ولما يربقه من الدعاء ، ولا بما يسترقه من الحرمان^(١) ويتنازع إلى أن يقرر على حواشيه وأعوانه ضرائب ، ويتحصل منهم أموالا ، فيمدون هم أيضا أيديهم إلى أموال الرعايا ، ويشربون لأخذها بحيث لا يقفون ولا يكفون . ثم يتساق الناس في جمع الأموال التي استدانها إذا أنه استدانها من الأمراء وحواشي السلطان ، أو نزل به أحد منهم إن كان المتولي متقلدا عملا من أعمال الريف ، فيحتاج له إلى ضيافات سنية وتقام جليلة من الخيول والريق وغير ذلك بحسب الحال ، ولا يشعر مع ذلك إلا وغيره قد تقلد ذلك العمل بمال التزم به ، وقد بقيت عليه جملة من الديون ، فيحاط على ما يوجد له من أثاث وحيوان وغيره ويشخصه في أنفوس حال ، وقد أحيط كما ذكرنا بماله ، وبما يقب العقوبات المولدة ، فلا يجد بدا من الالتزام بمال آخر ، ليقبل العمل الأول أو غيره من الأعمال .

فلما دهم أهل الريف بكثرة الغارم وتنوع المظالم ، اختلست أموالهم ، ومثروا كل ممزق وحلوا عن أوطانهم ، فقلت بحاي البلاد ومتصلها لقلصة ما يزرع وما يخلو أهلها ورحيلهم عنها لشدة الوطأة من الولاة عليهم وعلى من بقى منهم . وكان هذا الأمر كما قلنا مدة أيام الظاهر برقوقى إلى / أن حدث غلاء سنة ١٠٠٥

ست وتسعين [٧٩٦ هـ] ، كما مر ذكره ، فظهر بعض الخلل لا كله في أحوال عامة الناس لأمرين : أحدهما : البقية التي كانت بأيدي الناس فاحتملوا الغلاء لأجلها ، والثاني : كثرة صلات الظاهر وتوالي بره مدة الغلاء في سنة سبع ومئان وتسعين [٧٩٧، ٧٩٨ هـ] ، بحيث لم يمت فيه أحد بالجوع فيما نعلم .

فحدث لموته اختلاف بين أهل الدولة آل إلى تنازع وحروب قد ذكرهما في كتاب مفرد^(٢) . فاقضى الحال - من أجل ذلك - ثورة أهل الريف ، وانتشار

(١) حرمان : جمع حره وهي المرأة الفجرة ومضادها الأمانة . تقاموس المحيط باب الرأه لصل العام .
(٢) ربما يقصد بكتاب الشوك لسرلة تول الشوك .

التدبر زائدة الشمن على أرباب الزراعة ، سيما في الأرض منذ كثرت هذه المظالم ، منعت الأرض زكاتها ، ولم توت ما عهد من أكلها ، والحسارة بأهاها كل واحد طبعا ولا يأتيها طوعا . ومع أن الغلال معظمها لأهل الدولة أولى الجاه وأرباب السيوف ، الذين تزايدت في اللذات رغبتهم ، وعظمت في احتكار^(١) أسباب الرقة لهمتهم ، استمر السعر مرتفعا لا يكاد يرحى انخطاطه ، فخرّب بما ذكرنا معظم القرى ، وتعطلت أكثر الأراضي من الزراعة . فقلت الغلال / وغوها مما تخرجه^(٢) الأرض ، لموت أكثر الفلاحين وتشردهم في البلاد من شدة السنين وهلاك الدواب ولعجز الكثير من أرباب الأراضي عن ازديادها لنقل البئر وقلة المزارعين . وقد أشرف الإقليم لأجل هذا الذي قلنا على البوار والدمار : ﴿ سُئِنَ الله في الذين غَلَوْا مِنْ قَبْلِ وَلَنْ نَجِدَ لِسَنَةَ الله تَبِيلًا ﴾ .

السبب الثالث : رواج القلوس : اعلم حمل الله لك إلى كل خير سبيلا ذلولا ، وعلى كل فضل علما ودليلا ، أنه لم تزل سنة الله في خلقه ، وعادته المستمرة منذ كانت الخليقة إلى أن حدثت هذه الحوادث ، وارتكبت هذه المظالم التي قلناها في جهات الأرض كلها ، عند كل أمة من الأمم كالفرس والروم وسبي إسرائيل ويونان والقيط ، بل والبط والتبابعة أقبال اليمسن ، والعرب العاربة والعرب المستعربة ، ثم في الدولة الإسلامية من ظهورها ، على اختلاف دولها التي قامت بدعوها والتزمت بشريعتها ؛ كبنى أمية بالشام والأندلس ، وبنى العباس بالمشرق ، والعلميين بطبرستان وبلاد المغرب وديار مصر والشام وبلاد اليمسن ، ودولة الترك بنى سلجوق ، و دولة الديلم والممل بالمشرق ، ودولة الأكراد^(٣) بمصر والشام وديار بكر^(٤) ، ثم ملوك الترك بمصر ، أن القود التي تكون أمانا للسميات وقبما للأعمال إنما هي الذهب والفضة فقط لا يسلم في خير صحيح ولا سقيم عن

(١) احتكار : أي احتكار .
(٢) توتة الأكراد : يقصد بها التوتة الأوربية لأصنعه الخزير .
(٣) مدك : واسمة غرمي لهم مدية .

الرعاء^(١) وقطاع الطريق ، فنجفت السبل ، وتعذر الوصول إلى البلاد إلا بركب الحضر العظيم . وتزايدت غباوة أهل الدولة ، وأعرضوا عن مصالح العباد ، واحكموا في اللذات لتحقق عليهم كلمة العذاب ﴿ وَإِذَا رُودْنَا أَنْ لَمَلَك قربة أمرنا مترفينا فنفسوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ﴾ .

السبب الثاني : غلاء الأطحان : وذلك أن قوما ترقوا في حسد الأمرء يتولون^(٢) إليهم بما جوا من الأموال إلى أن استولوا على أموالهم ، فأحبوا مزيد القربة منهم ، ولا وسيلة أقرب إليهم من المال ، فعملوا إلى الأراضي الجارية في إقطاع / الأمرء ، وأحضروا مستأجرها من الفلاحين ، وزادوا في مقادير الأجر . فقلت^(٣) لذلك متحصلات موالهم من الأمرء ، فانغلوا ذلك بئنا بمنسون بما إليهم ، ونعمة يعملوها إذا شاعوا عليهم . فعملوا الزيادة فبدنهم^(٤) كل عام ، حتى بلغ القدان لهذا العهد نحوًا من عشرة أمثاله قبل هذه الحوادث . لا حرم أنه لما تضاعفت أجرة القندان من الطين إلى ما ذكرنا ، وبلغت قيمة الأرب من التمسح المحتاج إلى بلره ما تقدم ذكره وتزايدت كلفة الحرث والبذر والحصاد وغيره ، وعظمت نكابة الولا والعمال ، واشتدت وطأهم على أهل الفلج ، وكثرت المغارم في عمل الجسور^(٥) وغيرها ، وكانت الغلة التي تحصل من ذلك عظيمة

(١) الزعاع : جمع زاعر . وزعر لشي من الخلق وهو زلزال القاموس المعبط : بلب السراء لصل الزاي - وربما يقصد هنا القاموس .
(٢) يتولون : يتقربون .
(٣) قلت : أي زلت .
(٤) دينهم : عديهم وديهم .
(٥) الجسور جمع جسر وهي طرق مرتفعة تقام على حالة النهر والفرع حتى لا تطن مياه الفيضان على جوانبها فيفسد الأراج ، ويقصد بها أيضا القناطر المشيدة على الترع . والجسور نوعان : ١- السطانية وهي العامة تبلغ لي حفظ القبل على البلاد كافة إلى حيث وقوع النقص عنه وزوال الخوف غلبها منه ، ولها رسوم موقفة على الأعمال الشرقية والغربية تستخرج بأيدي موظفي الديوان وينفق عليها منها ما ينفي ويحمل إلى بيت المال ما يحصل .
٢- الجسور البلدية : هي الخاصة بناحية دون ناحية تؤلى إقامتها وأنتها القلوس والقلاعون بما ينتفزه فيها من عتدهم . لمن ممالي : قوانين النوليين : ص ٢٢٢ ، ص ٤٥٢ . عبد الرحمن عبد التواب : مشكلات المالية عبر التاريخ : ص ٨١ وما بعدها .

مثل وزنها في الإسلام مرتين ، ويسمى المثال درهما ، والمثال ^(١) ديناراً ، ولم يكن شيء من ذلك يعامل / به أهل مكة في جاهليتها ، وإنما كانت تعامل بها بالتأويل : وزن الدرهم وزن الدنانير ، وكانوا يعاملون بالوزان اصطلاحاً عليها فيما بينهم : وهي الرطل الذي هو اثنا عشرة أوقية ، والأوقية وهي أربعون درهماً ، فيكون الرطل ثمانين وأربعمائة درهم ، والرطل الآن في مصر اثنا عشرة أوقية ، والأوقية اثنا عشرة درهماً ، فيكون الرطل مائة وأربعة وأربعين درهماً ، ويكون الرطل ستمائة درهم دمشق اثنا عشرة أوقية ، والأوقية خمسون درهماً ، فيكون الرطل ستمائة درهم والنش وهو نصف الأوقية - جُوزت صاهُ شيئاً فقبل نش - وهو عشرون درهماً ، والنواة وهي خمسة دراهم . والدرهم على قسمين : طرية وزنة الدرهم منها ثمانية درائيق ، وقبل أربعة درائيق ، وبغية ^(٢) وزنة الواحد منها أربعة درائيق ، وقبل ثمانية درائيق ، وزنة / الدرهم من الجوزية ^(٣) أربعة درائيق ونصف دانق ، والمائيق زنته ٥٠ طريفها ما امتد . والدرهم البجلي كان يقال له الرائي ، ووزنه وزن الدينار ، وعلى ذلك وزن دراهم فارس ، والدرهم الجوزي ^(٤) يقتض كل عشرة منها عن البجليّة ثلاثة؛ فكل سبعة بقلية تكون عشرة بالجوزي. وكان الدينار يسمى لوزنه ديناراً ، وإنما

(١) المثال : اسم إنسانة تسمى بكر أو مسر . ونش عربة من الصخر ، وسالكم عريف الناس اسماء على التبادل . وكان المثال أيضاً يطلق على الدرهم من القصة ، وكانت عامسة الأوزان في بعض العرب زامن قحطية على قشرة لوزن من بينية ولحقت على وزن المثال . معصت لقبيل البجلي :

المرجع السليبي ص ٢٩٧

(٢) الدرهم البجليّة : نسبة إلى رجل وهو لم يهوئوا ضرب مثله الدرهم وكان يعرف (سرف البخل) (١) بالاسم الكرمي : الطرية العربية ونحو سنيات : ص ٢٧٧ حاشية (١) وكان هذا الدرهم لأن أربعة

دراهم أو ثمانية مثلاً في : الطرية العربية ونحو سنيات : ص ٢٧٧ حاشية (١) وكان هذا الدرهم لأن أربعة (٢) الدرهم الجوزية : وصرّف أيضاً لوزن أوقية وثلاثة أسبوعاً في جوز قن : بالضم ، فورية بنو يحيى معصان والقوز في بوزن أربعة درائيق ونصف . الفريز : القصة الإجمالية ، ثرية كرمي على كتفهم النقود الفورية والإجمالية وعادة النقود : ص ٢٨ حاشية ٢ ، ودخية الدين الريس : الفرائح والنظام

الغالب : ص ٢٤٢

(٣) الدرهم الجوزي مشتق من لوزن : جازاً : درهم ، أو قحطية من ما فيها من الخصل وبمائها معقروا في أهلها هي التي تسمى في الشعر بالثمة ، فكل حبة بقلية عشرة بالجوزي : الفريز : ص ٢٧٧ حاشية (٤)

أما من الأمم ولا طائفة من طوائف البشر أكرم اتخذوا ألباناً في قسطنطينية الزمان ولا حسبه شيئاً غيرهما ، حتى قيل إن أول من ضرب الدينار والدرهم آدم عليه الصلاة والسلام ، وقال : " لا تصليح للجنة إلا هذا " رواه الحافظ ابن عساکر في تاريخ دمشق . / وستلو عليك من بيا ذلك ما يوضح لك صحة ما أشرت إليه :

١٨

فأقول مستعيناً بالله ربّي ، فإنه مولاي وحسي : اعلم زائدك الله علماً ، وأتاك بيتاً وفهماً ، أن الدرهم الذي كانت تعد الناس على وجه الدرهم ما زالت ، حتى قيل إن أول من ضرب الدنانير ^(١) والدرهم ^(٢) وصاغ الحلبي من الذهب والفضة ، فالبح بن خازن بن صالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام وتناول الناس ذلك من زمانه ، وأخير ما كانت الدرهم على نوعين : السوداء الزاوية ^(٣) والطرية النقي ^(٤) ومما غالب ما يتعامل به البشر ، وكان أيضاً لم درهم تسمى جوارقية . وكانت نقود العرب في الجاهلية التي تدور بينها : الذهب والفضة لا غير بُرد إليها من الممالك ودانير الذهب قيعرية من قبل الروم ، ودرهم فضة على نوعين : سوداء وافية ، وطرية عتيقة . وكان وزن الدرهم والدينار في الجاهلية

(١) الدنانير : جمع دينار وهو قطع مشتق من قطع النوقس Denarius Aureus وهو لم وحدة من وحدات العملة القديمة عند العرب وقد عرفوا هذه العملة قروصية ويطلقوا بها قبل الإسلام وبعد ، وكان لوزن الشرعي للدينار الإسلامي مثلاً قروصية ٤,٧٥ جرام - دراهم - دراهم - النقود الإسلامية في مصر (عصر دولة أمويك الجرام) ص ٢٤٢

(٢) الدرهم : جمع درهم وهو وحدة من وحدات العملة الإسلامية القديمة وقد التقي اسمه من الجوزية (برفقة) أو الفارسية (درهم) أما استعماله في العملات فقد استقره العرب من النورس إذ كانت العملات الفارسية من العالم الإسلامي كلها إن وما الأما ثمناً تتصل بالثمة وكان لوزن الشرعي الدرهم ٢,٩٧ جرام وهو يساوي ٧ من وزن الدينار حديث في حديث الفريز : النقود الفورية مضبوها وحضرها ص ٢٩٠

المرجع السليبي ص ٢٤١

(٣) الدرهم السوداء الفوقية : بولها الفريز كما بقي : فالقوية وهي الفوقية وهي درهم فارس والدرهم وزنه زنة المثال القامح . الفريز : النقود الإسلامية ، نشر الأرب قصاص النورس في كتف النقود الفورية والإجمالية وعادة النقود : ص ٢٧٧

(٤) الدرهم الطرية النقي : والطرية من الدرهم الفورية . وظن قوم أن الفورية من الدرهم الفورية إلى طرية : قصبة الأرب ، لكن الفورية في هذه الفقرة يقال له طرية في زيادة الألف والنون : ومثلها الحافظ أبو عمرو بن أحمد ، وظن أنورن أنها مشوبة إلى طرية فورية بول لسط التي يقال لها لسي ، النسيط طرية بول لسيك بغيرك الحروف الأولى ، وتتوي الكلمة للثمة فكيف يمكن لواء الفورية : ولكن لم يصرّب فيها دينار ، والفق جمع عقيق وكان هو لند عليها وزن ٤ نوقس . النوقس النورس : المرجع السليبي ص ٢٩ حاشية (٧)

هو تتر^(١)، ويسمى الدرهم لوزنه درهماً، وإنما هو تتر. وكانت زنة كل عشرة دراهم ستة مثاقيل، والمثقال وزنه اثنان وعشرون قيراطاً إلا حبة، وهو أيضاً زنه ثمان وسبعون حبة شعير مما تقدم ذكره. وقيل إن الميثاق منذ وضع لم يختلف في جاهلية ولا إسلام، ويقال إن الذي اخترع الوزن في الزمن القديم بسماً بوضع الميثاق فعمله ستين حبة، زنة الحبة مائة من حب الخردل البري المعتدل، وأنه ضرب صنعة^(٢) بزنة المائة الحبة الخردل، وحمل بوزنها، والمائة الحبة صنعة ثانية ثم صنعة ثالثة، حتى بلغ مجموع الصنع خمس صنعات، فكانت صنعة نصف سدس مثقال، وأضعف وزنها وصارت صنعة ثلث مثقال، فركب منها نصف مثقال، ثم مثقال / وخمسة وعشرة وفوق ذلك، فعلى ذلك تكون زنة الميثاق الواحد ستة آلاف حبة، وكانت الموازين إمامي الشواهد^(٣) فلما بعث الله نبيه محمد ﷺ أقر أهل مكة على ذلك كله وقال "الميزان ميزان مكة" وفي رواية "ميزان المدينة" وفرض رسول الله ﷺ زكاة الأموال على ذلك، فجعل في كل خمس أوراق من الفضة الخالصة التي لم تغش خمسة دراهم وهي النواة، وفرض في كل عشرين ديناراً نصف دينار. وعمل بذلك أبو بكر رضي الله عنه أيام خلافته، بعد رسول الله ﷺ، ولم يغير منه شيئاً، فلما استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه أقر النقود على حالها، ولم يعرض لما بشئ حتى كانت سنة ثمان عشرين الهجرة [١٨هـ] في السنة السادسة من خلافته وأتته الوفود، وأقبلت أهل البصرة فيهم الأحنف بن قيس، فكلّم عمر رضي الله عنه في مصالح أهل البصرة، فوجه معقل بن يسار فاحتر لم يمر معقل ووضع الحرب^(٤) والدرهمين الوزنة في الشهر،

(١) المقصود بالتتر هذا النقطة من الصنع عامة.

(٢) هو صنعة الميزان وهي ما يوزن به.

(٣) شواهد: جمع شاهد وتعني عمود الميزان. القيراط يادى: القاموس المحيط: ذهب للوزن لفضل الدين.

(٤) الحرب: مكيال لبر، أربعة أقدرة، ونحوه أجريه وكان في الأصل يطلق على شيئين من الصنعة أطلق العرب على المقادير من الأرض شيء يستوعب ثلثي قدر من الحب وقد حثت الدرر في مساحته.

وضرب عمر رضي الله عنه الدراهم على نقش الكسروية^(١) وشكلها بأعيانها / غير أنه زاد في بعضها "الحمد لله" وفي بعضها "رسول الله" وعلى آخر "لا إله إلا الله وحده" وعلى آخر "عمر" والصورة صورة الملك لا صورة عمر، وحمل وزن كل عشرة دراهم ستة مثاقيل. فلما بويع عثمان ابن عفان رضي الله عنه ضرب دراهم، ونقشها "الله أكبر".

فلما اجتمع الأمر لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه^(٢)، وجمع لزياد بن أبيه الكوفة والصرة، قال له: "يا أمير المؤمنين إن العبد الصالح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب صغر الدرهم وكبر النقيز^(٣) وصار يؤخذ عليه ضريبة أرزاق الجنسند وحرز في عليه الثرية، طلباً للإحسان إلى الرعية، فلو جعلت أنت عياراً دون ذلك العيار ازدادت الرعية به مرفقا ومضت لك به السنة الصالحة". فضرب معاوية السود الناقصة من ستة دنانير، تكون خمسة عشر قيراطاً غير حبة أو حبتين، وضرب منها زياد، وحمل وزن عشرة دراهم سبعة مثاقيل وكتب عليها [...] (٤)، فكانت تجري بحرى الدراهم. وضرب معاوية أيضاً دنانير عليها تمثاله مثقالاً سبيلاً، فوقع منها دينار رديء في يد شيخ من الجند فحاه به معاوية ورماه، ثم قال "يسا معاوية أبنا وجدنا ضربك شر ضرب" فقال له معاوية "لأحرمنك عطشاك"،

- فقال: لما الحرب لم يور عشر قصبات لي عشر قصبات والقصبة ستة أذرع فكانت الحرب ثلاثة آلاف وسثمائة ذراع. القيراط يادى: القاموس المحيط: بلب الباء لعل الذهب، قيراطي: الأحكام السلطانية، ذهبها الدين الربيع: المرجع السابق ص ٨٩.

(١) الكسروية: نسبة إلى كسرو، والمقصود بها الترام التاريخية.

(٢) معاوية بن أبي سفيان (حكم من ٦٠/٤١هـ) والذي وصلنا من نقود معدنية للصورة من الترام ضربها معاوية بن أبي سفيان (حكم من ٦٠/٤١هـ) أما النقود فلم يصلنا شيء منها ولكن هذا ليس معناه أن النقود لم تكن على خطا ولكن ربما كان يجب احتفاظها هو لخصائص هذا النوع من النقود للصورة خلال عشرينات ثوبت العامة. ... عبد الرحمن لهي: النقود العربية ص ٢٩.

(٣) النقود: مكيال مسنوني ثمانية مكيال وجمعة أقدرة وفزان (القاموس المحيط) والشكوك ليس لسان ضرب: مكيال معروف لأحد خراف وهو صياح ونصف وهو ثلاث كيليات. ابن منظور: لسان العرب: مادة مكك حب ١٢ ذاب الكلف لعل الذهب.

(٤) يدعى في الأصل ويرجع: الشوال: ذ. زيادة أن هذا النوع لكثرة واحدة ربما تكون زوايا النظر شفرير: العينة العامة: السنة (١) ص ٢٦ حذبة.

ولأكتسوت الشظية^{١١}

فلما قام عبد الله بن الزبير وصي الله عنه مكة صرب دراهم مدوره . وكان أول من صرب الدراهم المستديرة . وإنما كانت قبل ذلك ما صرب مسها بإسه مسح غليظ قصير ، فلورها عبد الله ونقش بأحد الوجهين "محمد رسول الله" وبالأخر "أمر الله بالوفاء والعدل" ، وضرب أخوه مصعب بن الزبير دراهم بالعراق ، وجعل لكل عشرة دراهم سبعة مثاقيل ، وأعطاهم الناس في العطاء ، حتى قدم الحجاج بن يوسف الثقفي العراق من قبل عبد الله بن مروان فقال : "مسا ينبغي أن تترك من سنة المنافق شيئا" فغيرها .

فلما استوثق الأمر لعبد الملك بن مروان بعد مقتل عبد الله ومصعب انصرف الزبير بن العوام ، فحصى عن النقود والأوزان والمكاييل ، وضرب الدنانير والدراهم ، في سنة ست وسبعين من الهجرة [١٧٦هـ] ، وسب ذلك أنه كتب في صدر كتبه إلى الروم "قل هو الله أحد" ، وذكر النبي ﷺ مع التاريخ ، فكتب إليه ملك الروم^(١) : "إنكم قد أحدثتم كذا وكذا فتركوه ، وإلا أتاكم في دنانيرنا من ذكر نبيكم ما تكرهون" فغظم ذلك عليه وكلم خالد بن يزيد بن معاوية ، فأشار عليه أن يترك دنانير الروم ، وينهي عن المعاملة بما يصرب للناس دراهم ودنانير فيها ذكر الله ، فضررب الدينار / و الدرهم^(٢) ، فجعل وزن الدينار اثنين وعشرين فيرواطا سوى حبة بالشامي ، وجعل وزن الدرهم خمسة عشر فيرواطا سواء.

٥٤

(١) ملك الروم : يقصد به إمبراطور الدولة البيزنطية وكان في تلك الوقت أي سنة ٦٩٥م الإمبراطور جستين الثاني . وحكم جستين على فترتين الأولى بين سنتي (٦٩٥-٦٩٥م) والثانية بين سنتي (٧٠٥-٧١٠م) ومن المعروف أن عبد الملك بن مروان تولى الخلافة الأموية في نظر السنة التي اغتشي فيها حستين الثاني عرش الفسطاطية أي سنة ٦٨٥هـ : حسرت مسرعة برأيات في الدولة البيزنطية : ص ٩٤
(٢) بدأ عبد الملك بن مروان بتعريب السكة منذ عام ٧٢هـ ولعدة أربع سنوات انتهت سنة ٧٧هـ بتعريب النقود تماما . و النقود الذهبية بعد تعريبها لم يسمح الخليفة الأموي بصهرها لشي غير مصر وسيرة والنحصر فتاج الدنانير الذهبية بعد تعريبها في دار السك دمشق والقسطاط . عتت الرحمن ليهي المرجع السابق . ص ٣٠٠ . ص ٤٥

والقرواط أربع حبات ، وكل دانق قيراطين ونصف ، وكتب إلى الحجاج بالعراق : أن اضربها قسك ، فضررب الحجاج الدراهم ، ونقش فيها : "قل هو الله أحد" وحتى أن يضرب أحد غيره ، فضررب سمير اليهودي دراهم ، فأخذه ليقيله ، فقال له "عيار درهمي أجود من عيار دراهمك ، فلم تقبلني؟" فأبى إلا قتله ، فوضع سمير للناس صنج الأوزان ليتركه ، فلم يفعل . وكان الناس لا يعرفون الوزن ، إنما يزنون الدراهم بعضها ببعض ، فلما وضع سمير الصنج كف بعضهم عن بعض ، فقدمت تلك الدراهم مدينة رسول الله ﷺ وما بقية من الصحابة فلم يتكروا منها سوى نقشها ؛ فإن فيه صورة ، وكان سعيد بن المسيب^(١) يبيع بها ويشترى ، ولا يجيب من أمرها شيئا ، فجعل عبد الملك الذهب الذي ضربه على المتقال الشامي وهي المائة^(٢) الوازنة زيادة للمائة دينارين ، ويقال في سبب ضرب عبد الملك الدنانير والدراهم كذلك أن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان قال له : "يا أسيرو المؤمنين إن العلماء من أهل / الكتاب الأول يذكرون أنهم يجسدون في كتبهم أن أطول الخلفاء عمرا من قلنس الله في درهم" . فعزم على ذلك ووضع السكة^(٣) الإسلامية . وكان الذي ضرب إذ ذاك الدراهم رجل من يهود يقال له سمير ، فنسبت الدراهم إليه ، وقيل لها "الدراهم السميرية" وبعث عبد الملك بالسكة إلى الحجاج بالعراق ، فسيرها الحجاج إلى الآفاق لضرب الدراهم بها ، وتقادم إلى

(١) سعيد بن المسيب : من التابعين وكثير الغناء ويختلف المؤرخون في تحديد مولده ولكن ابن كثير يحدد مولده في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان كثير العلم واسع المعرفة بالمؤثرين وقد توفي لسي سنة ٩٤هـ عن عمر ٧٥ سنة . ابن كثير : البداية والنهاية : ج ٥ ص ١٣٢-١٣٥ .
(٢) السبيل التي فيها شيء من السبل إلى الرجحان ويراد بها أنها دامة الوزن ليس فيها شيء ناقص . الأب امتثال التكملي : النقود العربية وعلة السبلات : ص ٥٤ حاشية ٣ .
(٢) يصر لفظ السكة عن معنى متعدد تصور حول حلول النقود التي تعاملت بها الشعوب العربية من دنانير ذهبية ودرهم فضية وقرص نحاسية ، ويقصد بها جينا تلك النقوش التي قرن بها النقود على اختلاف توابعها . وأحيانا أخرى قولك السك التي يخدم بها على العملة المتداولة ، كما يطلق أيضا على الإطليقة التي تقود على سك العملة تحت اثر اذ التوبة ، غير أن المعنى الشائع هو إطلاق كلمة السكة على النقود العربة التي تضرب في نور السك والتي أصبحت وسيلة للتبادل الرئيسية لشي المعصور الوسطى . عت الرحمن قهسي : النقود العربية ص ١١٠

الأمصار كلها أن يكتب إليه منها كل شهر عما يجتمع قتلهم من المال كي يحصيه عندهم، وأن تضرب الدراهم بالآفاق على السكة الإسلامية، ونحمل إليه أولاً فأولاً، وقدر في كل مائة درهم درهمان عن الحطب وأجرة الضراب، ونقش على أحد وجهي الدرهم "قل هو الله أحد" وعلى الآخر "لا إله إلا الله"، وطوق الدرهم من وجهه بطوق، وكتب في الطوق الواحد "ضرب هذا الدرهم بمدينة كذا" وفي الطوق الآخر "محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون".

ونقل الثقات أن الذي دعا عبد الملك إلى ما صنع من ذلك أن الدراهم كانت على وجه الدهر سوداء وافية وطيرة عفا، فلما نظر عبد الملك في أمور الأمة قال: "إن هذه الدراهم تبقى مع الدهر، وقد جاء في الزكاة أن في كل مائتين أو في كل خمس أواق - خمسة دراهم، وأشفق إن جعلها كلها على / مثال ٥٦ السود العظام مائتين عدداً يكون ذلك بخساً^(١) للزكاة، وإن عملها كلها مثال الطيرة - ويحمل المعنى على ألما إذا بلغت مائتين عدداً وجبت الزكاة فيها كان في ذلك حيف وشطط^(٢) على رب المال. اتخذ عبد الملك معلقة بين مملكتين فيها كمال الزكاة، من غير بخس ولا إضرار بالمال، مع موافقة ما سنه رسول الله ﷺ وحده من ذلك.

وكان المسلمون - قبل عبد الملك وإلى أن صنع ما ذكر - يؤدون زكاة أموالهم شطرين من الكبار والصغار^(٣)، فلما اجتمع الناس مع عبد الملك على مسا عزم عليه من ذلك عمد إلى درهم واف فوزنه فإذا هو ثمانية دنانير، وإلى الدرهم من الصغار فإذا به يزن أربعة دنانير، فجمعهما معاً وحل زيادة الأكبر

(١) بخساً: أي تقبلاً من قيمتها.

(٢) شطط: تجاوز القدر المعتاد والتجاوز عن الحق - القصور المحيط - ج: باب الطاء فصل للثين - ونعى مناظرة وتجاوز واحداً بصاحبه المال.

(٣) المسلمون: بغير الكبار والصغار هذا الدرهم توافقه أي السرة الثمانية والطيرة الحق.

على نقض الأصغر، وجعلهما درهمن متساويين، زنة كل منهما ستة دنانير سواء، واعتبر المتقابل أيضاً، فإذا هو ما برح في آباء الدهر موقفاً محدوداً لكل عشرة من الدراهم التي زنة الواحد منها ستة دنانير تكون سبعة متقابل سواء، فأقر ذلك وأمضاه، ولم يعرض لتغييره.

وكان فيما عمل عبد الملك من الدراهم^(١) ثلاث فضائل: إحداها أن كل سبعة متقابل زنة عشرة دراهم، وثانيها أنه عدل بين كبارها وصغارها حتى اعتدلت، وصار الدرهم ستة دنانير، وثالثها أنه موافق لما سنه رسول الله ﷺ في قريضة الزكاة بغير وكس ولا اشتطاط. فمضت بذلك السنة، واجتمعت عليه الأمة، وضبط هذا الدرهم الشرعي الجمع عليه أنه كما مر زنة العشرة دراهم سبعة متقابل، وزنة الدرهم منها خمسون حبة وخمسة حبة / من الشعر الذي ٥٧ وصفت آنفاً، ويقال له درهم الكيل، فإن الرطل الشرعي منه يتركب، ومن الرطل يتركب المذ^(٢)، ومن المذ يتركب الصاع^(٣)، وإنما جعلت العشرة من الدراهم الفضة بوزن سبعة متقابل من الذهب، لأن الذهب أوزن من الفضة وأثقل، وكانهم جربوا حبة من الفضة، ومثلها من الذهب، ووزنوها، فكانت زنة الذهب أزيد من زنة الفضة بقدر ثلاثة أسباع الدرهم - فلذلك جعلوا كل عشرة دراهم بوزن سبعة متقابل، لأن ثلاثة أسباع الدرهم إذا أضيفت عليه بلغت

(١) ينكر ابن خلدون أن عمر بن الخطاب هو الذي حدد مقدار الدرهم الشرعي وأن الأمر استقر على ما حذره عمر وأن ما فعله عبد الملك والحجاج إنما كان بناء على الأساس الذي وضعه عمر بين الخطأ والصواب - ع: أبو جده - ع: ولتته له بصري سكة حبيبة بن النور - هو السنة دنانير - أما الذي ضرب السكة بهذا الوزن فهو عبد الملك بن مروان - انظر - ابن خلدون: المقدمة الجزء الخاص بالسكة من ٢٦١-٢٦٣، رفاعة الطهطاوي: الدولة الإسلامية نظامها وعملاتها: ص ٢٤٨-٢٥١، ص ٢٥١-٢٥٢، ص ٢٥٢-٢٥٣، ص ٢٥٣-٢٥٤، ص ٢٥٤-٢٥٥، ص ٢٥٥-٢٥٦، ص ٢٥٦-٢٥٧، ص ٢٥٧-٢٥٨، ص ٢٥٨-٢٥٩، ص ٢٥٩-٢٦٠، ص ٢٦٠-٢٦١، ص ٢٦١-٢٦٢، ص ٢٦٢-٢٦٣، ص ٢٦٣-٢٦٤، ص ٢٦٤-٢٦٥، ص ٢٦٥-٢٦٦، ص ٢٦٦-٢٦٧، ص ٢٦٧-٢٦٨، ص ٢٦٨-٢٦٩، ص ٢٦٩-٢٧٠، ص ٢٧٠-٢٧١، ص ٢٧١-٢٧٢، ص ٢٧٢-٢٧٣، ص ٢٧٣-٢٧٤، ص ٢٧٤-٢٧٥، ص ٢٧٥-٢٧٦، ص ٢٧٦-٢٧٧، ص ٢٧٧-٢٧٨، ص ٢٧٨-٢٧٩، ص ٢٧٩-٢٨٠، ص ٢٨٠-٢٨١، ص ٢٨١-٢٨٢، ص ٢٨٢-٢٨٣، ص ٢٨٣-٢٨٤، ص ٢٨٤-٢٨٥، ص ٢٨٥-٢٨٦، ص ٢٨٦-٢٨٧، ص ٢٨٧-٢٨٨، ص ٢٨٨-٢٨٩، ص ٢٨٩-٢٩٠، ص ٢٩٠-٢٩١، ص ٢٩١-٢٩٢، ص ٢٩٢-٢٩٣، ص ٢٩٣-٢٩٤، ص ٢٩٤-٢٩٥، ص ٢٩٥-٢٩٦، ص ٢٩٦-٢٩٧، ص ٢٩٧-٢٩٨، ص ٢٩٨-٢٩٩، ص ٢٩٩-٣٠٠، ص ٣٠٠-٣٠١، ص ٣٠١-٣٠٢، ص ٣٠٢-٣٠٣، ص ٣٠٣-٣٠٤، ص ٣٠٤-٣٠٥، ص ٣٠٥-٣٠٦، ص ٣٠٦-٣٠٧، ص ٣٠٧-٣٠٨، ص ٣٠٨-٣٠٩، ص ٣٠٩-٣١٠، ص ٣١٠-٣١١، ص ٣١١-٣١٢، ص ٣١٢-٣١٣، ص ٣١٣-٣١٤، ص ٣١٤-٣١٥، ص ٣١٥-٣١٦، ص ٣١٦-٣١٧، ص ٣١٧-٣١٨، ص ٣١٨-٣١٩، ص ٣١٩-٣٢٠، ص ٣٢٠-٣٢١، ص ٣٢١-٣٢٢، ص ٣٢٢-٣٢٣، ص ٣٢٣-٣٢٤، ص ٣٢٤-٣٢٥، ص ٣٢٥-٣٢٦، ص ٣٢٦-٣٢٧، ص ٣٢٧-٣٢٨، ص ٣٢٨-٣٢٩، ص ٣٢٩-٣٣٠، ص ٣٣٠-٣٣١، ص ٣٣١-٣٣٢، ص ٣٣٢-٣٣٣، ص ٣٣٣-٣٣٤، ص ٣٣٤-٣٣٥، ص ٣٣٥-٣٣٦، ص ٣٣٦-٣٣٧، ص ٣٣٧-٣٣٨، ص ٣٣٨-٣٣٩، ص ٣٣٩-٣٤٠، ص ٣٤٠-٣٤١، ص ٣٤١-٣٤٢، ص ٣٤٢-٣٤٣، ص ٣٤٣-٣٤٤، ص ٣٤٤-٣٤٥، ص ٣٤٥-٣٤٦، ص ٣٤٦-٣٤٧، ص ٣٤٧-٣٤٨، ص ٣٤٨-٣٤٩، ص ٣٤٩-٣٥٠، ص ٣٥٠-٣٥١، ص ٣٥١-٣٥٢، ص ٣٥٢-٣٥٣، ص ٣٥٣-٣٥٤، ص ٣٥٤-٣٥٥، ص ٣٥٥-٣٥٦، ص ٣٥٦-٣٥٧، ص ٣٥٧-٣٥٨، ص ٣٥٨-٣٥٩، ص ٣٥٩-٣٦٠، ص ٣٦٠-٣٦١، ص ٣٦١-٣٦٢، ص ٣٦٢-٣٦٣، ص ٣٦٣-٣٦٤، ص ٣٦٤-٣٦٥، ص ٣٦٥-٣٦٦، ص ٣٦٦-٣٦٧، ص ٣٦٧-٣٦٨، ص ٣٦٨-٣٦٩، ص ٣٦٩-٣٧٠، ص ٣٧٠-٣٧١، ص ٣٧١-٣٧٢، ص ٣٧٢-٣٧٣، ص ٣٧٣-٣٧٤، ص ٣٧٤-٣٧٥، ص ٣٧٥-٣٧٦، ص ٣٧٦-٣٧٧، ص ٣٧٧-٣٧٨، ص ٣٧٨-٣٧٩، ص ٣٧٩-٣٨٠، ص ٣٨٠-٣٨١، ص ٣٨١-٣٨٢، ص ٣٨٢-٣٨٣، ص ٣٨٣-٣٨٤، ص ٣٨٤-٣٨٥، ص ٣٨٥-٣٨٦، ص ٣٨٦-٣٨٧، ص ٣٨٧-٣٨٨، ص ٣٨٨-٣٨٩، ص ٣٨٩-٣٩٠، ص ٣٩٠-٣٩١، ص ٣٩١-٣٩٢، ص ٣٩٢-٣٩٣، ص ٣٩٣-٣٩٤، ص ٣٩٤-٣٩٥، ص ٣٩٥-٣٩٦، ص ٣٩٦-٣٩٧، ص ٣٩٧-٣٩٨، ص ٣٩٨-٣٩٩، ص ٣٩٩-٤٠٠، ص ٤٠٠-٤٠١، ص ٤٠١-٤٠٢، ص ٤٠٢-٤٠٣، ص ٤٠٣-٤٠٤، ص ٤٠٤-٤٠٥، ص ٤٠٥-٤٠٦، ص ٤٠٦-٤٠٧، ص ٤٠٧-٤٠٨، ص ٤٠٨-٤٠٩، ص ٤٠٩-٤١٠، ص ٤١٠-٤١١، ص ٤١١-٤١٢، ص ٤١٢-٤١٣، ص ٤١٣-٤١٤، ص ٤١٤-٤١٥، ص ٤١٥-٤١٦، ص ٤١٦-٤١٧، ص ٤١٧-٤١٨، ص ٤١٨-٤١٩، ص ٤١٩-٤٢٠، ص ٤٢٠-٤٢١، ص ٤٢١-٤٢٢، ص ٤٢٢-٤٢٣، ص ٤٢٣-٤٢٤، ص ٤٢٤-٤٢٥، ص ٤٢٥-٤٢٦، ص ٤٢٦-٤٢٧، ص ٤٢٧-٤٢٨، ص ٤٢٨-٤٢٩، ص ٤٢٩-٤٣٠، ص ٤٣٠-٤٣١، ص ٤٣١-٤٣٢، ص ٤٣٢-٤٣٣، ص ٤٣٣-٤٣٤، ص ٤٣٤-٤٣٥، ص ٤٣٥-٤٣٦، ص ٤٣٦-٤٣٧، ص ٤٣٧-٤٣٨، ص ٤٣٨-٤٣٩، ص ٤٣٩-٤٤٠، ص ٤٤٠-٤٤١، ص ٤٤١-٤٤٢، ص ٤٤٢-٤٤٣، ص ٤٤٣-٤٤٤، ص ٤٤٤-٤٤٥، ص ٤٤٥-٤٤٦، ص ٤٤٦-٤٤٧، ص ٤٤٧-٤٤٨، ص ٤٤٨-٤٤٩، ص ٤٤٩-٤٥٠، ص ٤٥٠-٤٥١، ص ٤٥١-٤٥٢، ص ٤٥٢-٤٥٣، ص ٤٥٣-٤٥٤، ص ٤٥٤-٤٥٥، ص ٤٥٥-٤٥٦، ص ٤٥٦-٤٥٧، ص ٤٥٧-٤٥٨، ص ٤٥٨-٤٥٩، ص ٤٥٩-٤٦٠، ص ٤٦٠-٤٦١، ص ٤٦١-٤٦٢، ص ٤٦٢-٤٦٣، ص ٤٦٣-٤٦٤، ص ٤٦٤-٤٦٥، ص ٤٦٥-٤٦٦، ص ٤٦٦-٤٦٧، ص ٤٦٧-٤٦٨، ص ٤٦٨-٤٦٩، ص ٤٦٩-٤٧٠، ص ٤٧٠-٤٧١، ص ٤٧١-٤٧٢، ص ٤٧٢-٤٧٣، ص ٤٧٣-٤٧٤، ص ٤٧٤-٤٧٥، ص ٤٧٥-٤٧٦، ص ٤٧٦-٤٧٧، ص ٤٧٧-٤٧٨، ص ٤٧٨-٤٧٩، ص ٤٧٩-٤٨٠، ص ٤٨٠-٤٨١، ص ٤٨١-٤٨٢، ص ٤٨٢-٤٨٣، ص ٤٨٣-٤٨٤، ص ٤٨٤-٤٨٥، ص ٤٨٥-٤٨٦، ص ٤٨٦-٤٨٧، ص ٤٨٧-٤٨٨، ص ٤٨٨-٤٨٩، ص ٤٨٩-٤٩٠، ص ٤٩٠-٤٩١، ص ٤٩١-٤٩٢، ص ٤٩٢-٤٩٣، ص ٤٩٣-٤٩٤، ص ٤٩٤-٤٩٥، ص ٤٩٥-٤٩٦، ص ٤٩٦-٤٩٧، ص ٤٩٧-٤٩٨، ص ٤٩٨-٤٩٩، ص ٤٩٩-٥٠٠، ص ٥٠٠-٥٠١، ص ٥٠١-٥٠٢، ص ٥٠٢-٥٠٣، ص ٥٠٣-٥٠٤، ص ٥٠٤-٥٠٥، ص ٥٠٥-٥٠٦، ص ٥٠٦-٥٠٧، ص ٥٠٧-٥٠٨، ص ٥٠٨-٥٠٩، ص ٥٠٩-٥١٠، ص ٥١٠-٥١١، ص ٥١١-٥١٢، ص ٥١٢-٥١٣، ص ٥١٣-٥١٤، ص ٥١٤-٥١٥، ص ٥١٥-٥١٦، ص ٥١٦-٥١٧، ص ٥١٧-٥١٨، ص ٥١٨-٥١٩، ص ٥١٩-٥٢٠، ص ٥٢٠-٥٢١، ص ٥٢١-٥٢٢، ص ٥٢٢-٥٢٣، ص ٥٢٣-٥٢٤، ص ٥٢٤-٥٢٥، ص ٥٢٥-٥٢٦، ص ٥٢٦-٥٢٧، ص ٥٢٧-٥٢٨، ص ٥٢٨-٥٢٩، ص ٥٢٩-٥٣٠، ص ٥٣٠-٥٣١، ص ٥٣١-٥٣٢، ص ٥٣٢-٥٣٣، ص ٥٣٣-٥٣٤، ص ٥٣٤-٥٣٥، ص ٥٣٥-٥٣٦، ص ٥٣٦-٥٣٧، ص ٥٣٧-٥٣٨، ص ٥٣٨-٥٣٩، ص ٥٣٩-٥٤٠، ص ٥٤٠-٥٤١، ص ٥٤١-٥٤٢، ص ٥٤٢-٥٤٣، ص ٥٤٣-٥٤٤، ص ٥٤٤-٥٤٥، ص ٥٤٥-٥٤٦، ص ٥٤٦-٥٤٧، ص ٥٤٧-٥٤٨، ص ٥٤٨-٥٤٩، ص ٥٤٩-٥٥٠، ص ٥٥٠-٥٥١، ص ٥٥١-٥٥٢، ص ٥٥٢-٥٥٣، ص ٥٥٣-٥٥٤، ص ٥٥٤-٥٥٥، ص ٥٥٥-٥٥٦، ص ٥٥٦-٥٥٧، ص ٥٥٧-٥٥٨، ص ٥٥٨-٥٥٩، ص ٥٥٩-٥٦٠، ص ٥٦٠-٥٦١، ص ٥٦١-٥٦٢، ص ٥٦٢-٥٦٣، ص ٥٦٣-٥٦٤، ص ٥٦٤-٥٦٥، ص ٥٦٥-٥٦٦، ص ٥٦٦-٥٦٧، ص ٥٦٧-٥٦٨، ص ٥٦٨-٥٦٩، ص ٥٦٩-٥٧٠، ص ٥٧٠-٥٧١، ص ٥٧١-٥٧٢، ص ٥٧٢-٥٧٣، ص ٥٧٣-٥٧٤، ص ٥٧٤-٥٧٥، ص ٥٧٥-٥٧٦، ص ٥٧٦-٥٧٧، ص ٥٧٧-٥٧٨، ص ٥٧٨-٥٧٩، ص ٥٧٩-٥٨٠، ص ٥٨٠-٥٨١، ص ٥٨١-٥٨٢، ص ٥٨٢-٥٨٣، ص ٥٨٣-٥٨٤، ص ٥٨٤-٥٨٥، ص ٥٨٥-٥٨٦، ص ٥٨٦-٥٨٧، ص ٥٨٧-٥٨٨، ص ٥٨٨-٥٨٩، ص ٥٨٩-٥٩٠، ص ٥٩٠-٥٩١، ص ٥٩١-٥٩٢، ص ٥٩٢-٥٩٣، ص ٥٩٣-٥٩٤، ص ٥٩٤-٥٩٥، ص ٥٩٥-٥٩٦، ص ٥٩٦-٥٩٧، ص ٥٩٧-٥٩٨، ص ٥٩٨-٥٩٩، ص ٥٩٩-٦٠٠، ص ٦٠٠-٦٠١، ص ٦٠١-٦٠٢، ص ٦٠٢-٦٠٣، ص ٦٠٣-٦٠٤، ص ٦٠٤-٦٠٥، ص ٦٠٥-٦٠٦، ص ٦٠٦-٦٠٧، ص ٦٠٧-٦٠٨، ص ٦٠٨-٦٠٩، ص ٦٠٩-٦١٠، ص ٦١٠-٦١١، ص ٦١١-٦١٢، ص ٦١٢-٦١٣، ص ٦١٣-٦١٤، ص ٦١٤-٦١٥، ص ٦١٥-٦١٦، ص ٦١٦-٦١٧، ص ٦١٧-٦١٨، ص ٦١٨-٦١٩، ص ٦١٩-٦٢٠، ص ٦٢٠-٦٢١، ص ٦٢١-٦٢٢، ص ٦٢٢-٦٢٣، ص ٦٢٣-٦٢٤، ص ٦٢٤-٦٢٥، ص ٦٢٥-٦٢٦، ص ٦٢٦-٦٢٧، ص ٦٢٧-٦٢٨، ص ٦٢٨-٦٢٩، ص ٦٢٩-٦٣٠، ص ٦٣٠-٦٣١، ص ٦٣١-٦٣٢، ص ٦٣٢-٦٣٣، ص ٦٣٣-٦٣٤، ص ٦٣٤-٦٣٥، ص ٦٣٥-٦٣٦، ص ٦٣٦-٦٣٧، ص ٦٣٧-٦٣٨، ص ٦٣٨-٦٣٩، ص ٦٣٩-٦٤٠، ص ٦٤٠-٦٤١، ص ٦٤١-٦٤٢، ص ٦٤٢-٦٤٣، ص ٦٤٣-٦٤٤، ص ٦٤٤-٦٤٥، ص ٦٤٥-٦٤٦، ص ٦٤٦-٦٤٧، ص ٦٤٧-٦٤٨، ص ٦٤٨-٦٤٩، ص ٦٤٩-٦٥٠، ص ٦٥٠-٦٥١، ص ٦٥١-٦٥٢، ص ٦٥٢-٦٥٣، ص ٦٥٣-٦٥٤، ص ٦٥٤-٦٥٥، ص ٦٥٥-٦٥٦، ص ٦٥٦-٦٥٧، ص ٦٥٧-٦٥٨، ص ٦٥٨-٦٥٩، ص ٦٥٩-٦٦٠، ص ٦٦٠-٦٦١، ص ٦٦١-٦٦٢، ص ٦٦٢-٦٦٣، ص ٦٦٣-٦٦٤، ص ٦٦٤-٦٦٥، ص ٦٦٥-٦٦٦، ص ٦٦٦-٦٦٧، ص ٦٦٧-٦٦٨، ص ٦٦٨-٦٦٩، ص ٦٦٩-٦٧٠، ص ٦٧٠-٦٧١، ص ٦٧١-٦٧٢، ص ٦٧٢-٦٧٣، ص ٦٧٣-٦٧٤، ص ٦٧٤-٦٧٥، ص ٦٧٥-٦٧٦، ص ٦٧٦-٦٧٧، ص ٦٧٧-٦٧٨، ص ٦٧٨-٦٧٩، ص ٦٧٩-٦٨٠، ص ٦٨٠-٦٨١، ص ٦٨١-٦٨٢، ص ٦٨٢-٦٨٣، ص ٦٨٣-٦٨٤، ص ٦٨٤-٦٨٥، ص ٦٨٥-٦٨٦، ص ٦٨٦-٦٨٧، ص ٦٨٧-٦٨٨، ص ٦٨٨-٦٨٩، ص ٦٨٩-٦٩٠، ص ٦٩٠-٦٩١، ص ٦٩١-٦٩٢، ص ٦٩٢-٦٩٣، ص ٦٩٣-٦٩٤، ص ٦٩٤-٦٩٥، ص ٦٩٥-٦٩٦، ص ٦٩٦-٦٩٧، ص ٦٩٧-٦٩٨، ص ٦٩٨-٦٩٩، ص ٦٩٩-٧٠٠، ص ٧٠٠-٧٠١، ص ٧٠١-٧٠٢، ص ٧٠٢-٧٠٣، ص ٧٠٣-٧٠٤، ص ٧٠٤-٧٠٥، ص ٧٠٥-٧٠٦، ص ٧٠٦-٧٠٧، ص ٧٠٧-٧٠٨، ص ٧٠٨-٧٠٩، ص ٧٠٩-٧١٠، ص ٧١٠-٧١١، ص ٧١١-٧١٢، ص ٧١٢-٧١٣، ص ٧١٣-٧١٤، ص ٧١٤-٧١٥، ص ٧١٥-٧١٦، ص ٧١٦-٧١٧، ص ٧١٧-٧١٨، ص ٧١٨-٧١٩، ص ٧١٩-٧٢٠، ص ٧٢٠-٧٢١، ص ٧٢١-٧٢٢، ص ٧٢٢-٧٢٣، ص ٧٢٣-٧٢٤، ص ٧٢٤-٧٢٥، ص ٧٢٥-٧٢٦، ص ٧٢٦-٧٢٧، ص ٧٢٧-٧٢٨، ص ٧٢٨-٧٢٩، ص ٧٢٩-٧٣٠، ص ٧٣٠-٧٣١، ص ٧٣١-٧٣٢، ص ٧٣٢-٧٣٣، ص ٧٣٣-٧٣٤، ص ٧٣٤-٧٣٥، ص ٧٣٥-٧٣٦، ص ٧٣٦-٧٣٧، ص ٧٣٧-٧٣٨، ص ٧٣٨-٧٣٩، ص ٧٣٩-٧٤٠، ص ٧٤٠-٧٤١، ص ٧٤١-٧٤٢، ص ٧٤٢-٧٤٣، ص ٧٤٣-٧٤٤، ص ٧٤٤-٧٤٥، ص ٧٤٥-٧٤٦، ص ٧٤٦-٧٤٧، ص ٧٤٧-٧٤٨، ص ٧٤٨-٧٤٩، ص ٧٤٩-٧٥٠، ص ٧٥٠-٧٥١، ص ٧٥١-٧٥٢، ص ٧٥٢-٧٥٣، ص ٧٥٣-٧٥٤، ص ٧٥٤-٧٥٥، ص ٧٥٥-٧٥٦، ص ٧٥٦-٧٥٧، ص ٧٥٧-٧٥٨، ص ٧٥٨-٧٥٩، ص ٧٥٩-٧٦٠، ص ٧٦٠-٧٦١، ص ٧٦١-٧٦٢، ص ٧٦٢-٧٦٣، ص ٧٦٣-٧٦٤، ص ٧٦٤-٧٦٥، ص ٧٦٥-٧٦٦، ص ٧٦٦-٧٦٧، ص ٧٦٧-٧٦٨، ص ٧٦٨-٧٦٩، ص ٧٦٩-٧٧٠، ص ٧٧٠-٧٧١، ص ٧٧١-٧٧٢، ص ٧٧٢-٧٧٣، ص ٧٧٣-٧٧٤، ص ٧٧٤-٧٧٥، ص ٧٧٥-٧٧٦، ص ٧٧٦-٧٧٧، ص ٧٧٧-٧٧٨، ص ٧٧٨-٧٧٩، ص ٧٧٩-٧٨٠، ص ٧٨٠-٧٨١، ص ٧٨١-٧٨٢، ص ٧٨٢-٧٨٣، ص ٧٨٣-٧٨٤، ص ٧٨٤-٧٨٥، ص ٧٨٥-٧٨٦، ص ٧٨٦-٧٨٧، ص ٧٨٧-٧٨٨، ص ٧٨٨-٧٨٩، ص ٧٨٩-٧٩٠، ص ٧٩٠-٧٩١، ص ٧٩١-٧٩٢، ص ٧٩٢-٧٩٣، ص ٧٩٣-٧٩٤، ص ٧٩٤-٧٩٥، ص ٧٩٥-٧٩٦، ص ٧٩٦-٧٩٧، ص ٧٩٧-٧٩٨، ص ٧٩٨-٧٩٩، ص ٧٩٩-٨٠٠، ص ٨٠٠-٨٠١، ص ٨٠١-٨٠٢، ص ٨٠٢-٨٠٣، ص ٨٠٣-٨٠٤، ص ٨٠٤-٨٠٥، ص ٨٠٥-٨٠٦، ص ٨٠٦-٨٠٧، ص ٨٠٧-٨٠٨، ص ٨٠٨-٨٠٩، ص ٨٠٩-٨١٠، ص ٨١٠-٨١١، ص ٨١١-٨١٢، ص ٨١٢-٨١٣، ص ٨١٣-٨١٤، ص ٨١٤-٨١٥، ص ٨١٥-٨١٦، ص ٨١٦-٨١٧، ص ٨١٧-٨١٨، ص ٨١٨-٨١٩، ص ٨١٩-٨٢٠، ص ٨٢٠-٨٢١، ص ٨٢١-٨٢٢، ص ٨٢٢-٨٢٣، ص ٨٢٣-٨٢٤، ص ٨٢٤-٨٢٥، ص ٨٢٥-٨٢٦، ص ٨٢٦-٨٢٧، ص ٨٢٧-٨٢٨، ص ٨٢٨-٨٢٩، ص ٨٢٩-٨٣٠، ص ٨٣٠-٨٣١، ص ٨٣١-٨٣٢، ص ٨٣٢-٨٣٣، ص ٨٣٣-٨٣٤، ص ٨٣٤-٨٣٥، ص ٨٣٥-٨٣٦، ص ٨٣٦-٨٣٧، ص ٨٣٧-٨٣٨، ص ٨٣٨-٨٣٩، ص ٨٣٩-٨٤٠، ص ٨٤٠-٨٤١، ص ٨٤١-٨٤٢، ص ٨٤٢-٨٤٣، ص ٨٤٣-٨٤٤، ص ٨٤٤-٨٤٥، ص ٨٤٥-٨٤٦، ص ٨٤٦-٨٤٧، ص ٨٤٧-٨٤٨، ص ٨٤٨-٨٤٩، ص ٨٤٩-٨٥٠، ص ٨٥٠-٨٥١، ص ٨٥١-٨٥٢، ص ٨٥٢-٨٥٣، ص ٨٥٣-٨٥٤، ص ٨٥٤-٨٥٥، ص ٨٥٥-٨٥٦، ص ٨٥٦-٨٥٧، ص ٨٥٧-٨٥٨، ص ٨٥٨-٨٥٩، ص ٨٥٩-٨٦٠، ص ٨٦٠-٨٦١، ص ٨٦١-٨٦٢، ص ٨٦٢-٨٦٣، ص ٨٦٣-٨٦٤، ص ٨٦٤-٨٦٥، ص ٨٦٥-٨٦٦، ص ٨٦٦-٨٦٧، ص ٨٦٧-٨٦٨، ص ٨٦٨-٨٦٩، ص ٨٦٩-٨٧٠، ص ٨٧٠-٨٧١، ص ٨٧١-٨٧٢، ص ٨٧٢-٨٧٣، ص ٨٧٣-٨٧٤، ص ٨٧٤-٨٧٥، ص ٨٧٥-٨٧٦، ص ٨٧٦-٨٧٧، ص ٨٧٧-٨٧٨، ص ٨٧٨-٨٧٩، ص ٨٧٩-٨٨٠، ص ٨٨٠-٨٨١، ص ٨٨١-٨٨٢، ص ٨٨٢-٨٨٣، ص ٨٨٣-٨٨٤، ص ٨٨٤-٨٨٥، ص ٨٨٥-٨٨٦، ص ٨٨٦-٨٨٧، ص ٨٨٧-٨٨٨، ص ٨٨٨-٨٨٩، ص ٨٨٩-٨٩٠، ص ٨٩٠-٨٩١، ص ٨٩١-٨٩٢، ص ٨٩٢-٨٩٣، ص ٨٩٣-٨٩٤، ص ٨٩٤-٨٩٥، ص ٨٩٥-٨٩٦، ص ٨٩٦-٨٩٧، ص ٨٩٧-٨٩٨، ص ٨٩٨-٨٩٩، ص ٨٩٩-٩٠٠، ص ٩٠٠-٩٠١، ص ٩٠١-٩٠٢، ص ٩٠٢-٩٠٣، ص ٩٠٣-٩٠٤، ص ٩٠٤-٩٠٥، ص ٩٠٥-٩٠٦، ص ٩٠٦-٩٠٧، ص ٩٠٧-٩٠٨، ص ٩٠٨-٩٠٩، ص ٩٠٩-٩١٠، ص ٩١٠-٩١١، ص ٩١١-٩١٢، ص ٩١٢-٩١٣، ص ٩١٣-٩١٤، ص ٩١٤-٩١٥، ص ٩١٥-٩١٦، ص ٩١٦-٩١٧، ص ٩١٧-٩١٨، ص ٩١٨-٩١٩، ص ٩١٩-٩٢٠، ص ٩٢٠-٩٢١، ص ٩٢١-٩٢٢، ص ٩٢٢-٩٢٣، ص ٩٢٣-٩٢٤، ص ٩٢٤-٩٢٥، ص ٩٢٥-٩٢٦، ص ٩٢٦-٩٢٧، ص ٩٢٧-٩٢٨، ص ٩٢٨-٩٢٩، ص ٩٢٩-٩٣٠، ص ٩٣٠-٩٣١، ص ٩٣١-٩٣٢، ص ٩٣٢-٩٣٣، ص ٩٣٣-٩٣٤، ص ٩٣٤-٩٣٥، ص ٩٣٥-٩٣٦، ص ٩٣٦-٩٣٧، ص ٩٣٧-

مقالا، والمقال إذا نقص منه ثلاثة اعتباره بنى درهما، وكل عشرة مثاقيل تسزن أربعة عشر درهما وستين درهم. وقيل إن واضح الأوزان جعل الدرهم ستين حبة لئله قال: كل عشرة دراهم تعدل زنة سبعة مثاقيل، فيكون على ذلك زنة الحبة سبعون حبة من حب الخردل، ومنها رُكِب الدرهم فما فوقه إلى الألف، كما تقدم في المقال.

وضرب الحجاج الدرهم البيض^(١) ونقش عليها "قل هو الله أحد"، فقال القراء: "قاتله الله أي شيء صنع للناس؟ الآن يأخذ الحُكْبُ والحامض" وكانت الدراهم قبل ذلك منقوشة بالفارسية، فكره نلس من القراء مسحها وهم على غير طهارة، فقيل لها "المكروهة" وصارت سمة لها وعلامة عليها. ولقد سُئِلَ مسالك رضي الله عنه عن تغيير كتابة الدنانير والدراهم، لما فيها من كسباب الله تعالى فقال: "أول ما ضربت على عهد عبد الملك بن مروان والناس متوافرون، فمسا أنكر أحد / ذلك، وما رأيت أهل العلم أنكروه، ولقد بلغني أن ابن سيرين كان يكره أن يبيع بما ويشترى، وما زال أمر الناس كذلك، ولم أر أحداً منع ذلك ما هنا" وقيل لعبد الملك رحمه الله تعالى: "هذه الدراهم البيض فيها كسباب الله بقلبيها اليهودي والنصراني والجنب والحامض، فإن رأيت أن تأمر بمحوها؟" فقال: "أردت أن تحتج علينا الأسم أننا غُثِرْنَا توحيد ربنا واسم نبينا!" ومات عبد الملك بن مروان والأمر على ما تقدم وخلقه ابنه الوليد ثم سليمان بن عبد الملك ثم عمر بن عبد العزيز.

فلما استخلف يزيد بن عبد الملك ضرب الجبيرة^(٢) عمر من هيرة - عالم إلى على عيار ستة دنانير، فكان أول من شدّه في أمر الوزن، وخلّص النقة أبلغ من

(١) الدراهم البيض: المنصود بها ما كان نفاً والي الوزن. وكان الحجاج بن يوسف أول من صرح به وسمى الدنانير للنقش الأبيض أيضاً. - الفهرست: إعطاء الأمانة السنة (٤) من ٥٧ هـ حاشية (٢).
(٢) الجبيرة: هي النقود الأموية التي ضربها عمر بن حفص. - والنفوس: الأموية: ثلاثة أنواع هي البندرية والخالدية وهي التي ضربها خالد بن عبد الله القسري، والقبولية التي ضربها يوسف بن عمر القسري.

تخليص من قبله. فلما قام هشام بن عبد الملك، وكان جموعاً للمال، أمر خالد بن عبد الله القسري في سنة ست ومائة من الهجرة [١٠٦ هـ] أن يصير العيار إلى وزن سبعة، وأن يحل السكك من كل بلد إلا واسط، فضرب الدراهم بواسطة، وكثر السكة، فكان خالد في تخليص الفضة أشد من قبله، فضربت الدراهم على السكة الخالدية، حتى عجزل خالد في سنة عشرين ومائة [١٢٠ هـ]، وتولى يوسف بن عمر النقفي، فأفرط في الشدة بحيث امتحن يوماً العيار فوجد درهما ينقص حبة، فضرب كل صانع ألف سوط، وكانوا مائة صانع، فضرب في حبة مائة ألف سوط، / وصغر يوسف السكة وأجزاها على ٥٩ وزن سبعة، وضربها بواسطة وخدما حتى قتل الوليد بن يزيد في سنة ست وعشرين ومائة [١٢٦ هـ]، فلما استخلف مروان بن محمد الحمار - آخر خلفاء بني أمية - ضرب الدراهم بالجزيرة على السكة بخران حتى قتل. وكانت الجبيرة والخالدية، واليوسفية، أعود نقود بني أمية.

• وكانت دولة بني العباس، فضرب السخاخ^(١) الدراهم بالأناير^(٢) وعملها على نقش الدنانير، فكسب عليها السكة العباسية، وقطع منها

- وهم من عمل بني أمية على الشرقي وكانت تقدم من أجود أنواع النقود الأموية. - لمن خلدون: المقدمة ص ٢٦١، د. حورية عده مسلم: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة القسطنطينية ص ١٢٧.
(١) العيار: يقصد بالعيار السكة الذهبية بعد وزن المعدن الموجود في كلمة السكة وزولها الكسبي ويحدها الوزن بالنقش للثمن (١٠٠٠) أو الثمن (٢٤) الذي يمثل الوزن الكلي لثقل عيار قطعة ذهبية من السكة يعني أن هذه القطعة تحتوي على (٨٧٥) جزء من العيار القوي أو (٢١) مسر ٢٤ من العيار القوي د. راجع الفهرست: النقود الإسلامية في مصر ص ٢٤٢.
(٢) السخاخ: هو عهد الذي صنعت من على بن عبد الله بن عباس ابن عوف الذي وقت باقي العيار. وهو أول خلفاء بني العباس وتولى الخلافة سنة ١٢٢ هـ ومات السخاخ بالبحري في ذي الحجة سنة ١٣٦ هـ وكان عمره يوم مات ثلاثاً وخمسين سنة وفيه ثمان وعشرون سنة، وكانت مدة ولايته أربع سنوات وتسعة شهور. - ابن الجب: تاريخ الخلافة العباسية: ص ١٢٧، ١٢٨، ابن كثير: البداية والنهاية: ج ٥ ص ٢٢٩.

(٣) الأناير: هي التسمية التي اتخذها أبو الحسن شجاع مقر الخلافة العباسية سنة ١٢٢ هـ بعد ما رحل عن الكوفة ووقع الأناير على الصفة الشرقية لثغر القرات وبلغ المسافة بينها وبين المكان الذي قامت فيه بغداد ثمانية عشر فرسخاً. - روضة محدث الأناير: بناء بغداد في عهد أبي جعفر المنصور ص ٢٠٢، ٢٠٣ - رسالة ماجستير - مشورة: كلية الآداب - جامعة عين شمس.

[١٨٤هـ] ، فصار النقص أربعة قراربط وحنة ونصف حبة ، وصارت لا قيمة لها في المجموعة أو بما فيها ، وبطلت .

فلما قتل الرشيد جعفر بن يحيى ، وتولى الوزارة الفضل بن الربيع ، صير السكة إلى السدي بن شاهر ، ف ضرب الدراهم على مقدار الدنانير ، وسبيل الدنانير في سائر ما تقدم ذكره سبيل الدراهم ، فكان خلاص السدي / جيداً أشد الناس خلاصاً للذهب والفضة .

وفي شهر رجب سنة إحدى وتسعين ومائة [١٩١هـ] نقصت الدنانير الماشية نصف حبة ، وما زال الأمر في ذلك كله عصاراً يجوز فيه الدهش حرواز الناقيل . ثم ردت الناقيل إلى وزعما ، حتى كانت أيام الأمير محمد بن هارون الرشيد ، فصير دور الضرب إلى العباس بن الفضل بن الربيع ، فنقش في السكة بأعلى السطور : " وبه الله " ، وبأسفلها : " العباس بن الفضل " .

فلما قتل الأمين ، واجتمع الناس على عبد الله المأمون ، لم يجد أحداً ينقش الدراهم ، فتمت بالمخراط كما نقش الخواتيم .

وكان الناس في أول الإسلام إنما يزيتون بالشواحين ، فلما ولي عبد الله بن عامر البصرة ، سنة تسع وعشرين للهجرة [٢٩هـ] ، وضع في الميزان لساناً ، وهو أول من صنع لساناً للميزان . ولم يزل الأمر في النقود على ما تقدم عامة أيام المأمون حتى مات ، ثم قام بعده أبو إسحاق العتصم ، ثم الواثق ، ثم المتوكل ، إلى أن قتله الأتراك وشركوا بني العباس في الأمور . وتنتسب الدولة في الترف ، وتقلص نور الهداية ، وتبدلت أوضاع الشريعة ورسوم الدين ، وأخذوا وابتدعوا ما لم يأذن الله به ، فكان من ذلك غش الدراهم . ويقال إن أول من غش الدراهم وضربها مفسوشة زيوفاً أعيد الله بن زياد ، حين فر من البصرة سنة أربع / وستين ١٢

(١) الزيتون : جمع زيت بالفتح وهو جميع زيت لونها ، وهو الزبد الذي خلط به لحسن أو غيره فلبثت صلت الحوتة ليزد إلى بيت الله .

نقصها حينئذ ، فلما قام أبو جعفر النصور نقصها ثلاث حبات ومجمت تلك الدراهم ثلاثة أرباع قيراط ؛ لأن القيراط أربع حبات ، وكانت الدراهم كذلك . وحدثت الماشية على النقال البصري ، وكانت تقطع على الناقيل المبالاة الوزنة . التامة فأقامت الماشية^(١) على الناقيل والعتق^(٢) على نقصان ثلاثة أرباع قيراط مدة ١٠٠ - النصور ، وإلى سنة ثمان وخمسين ومائة [١٥٨هـ] . ف ضرب المهدي فيها سكة مدورة فيها نقط ، ولم يكن لموسى الهادي بن المهدي سكة تعرف ، وحمادى الأمر على ذلك إلى شهر رجب سنة ثمان وسبعين ومائة [١٧٨هـ] . فصار نقصانها قيراطاً غير ربع حبة ، فلما صير الرشيد السكك إلى جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ، كتب اسمه بمدينة السلام ، وبالحمدية من الري ، على الدنانير والدراهم ، ١٠ وضرب دنانير زنة / كل دينار منها مائة مثقال ، كان يفرقتها على الناس في النوروز والمهرجان ، وكتب عليها :

وأصغر من ضرب دار الملوك تلوح على وجه جعفر

يزيد على مائة واحداً إذا ناله معسر أبيراً

وكان لبني العباس دنانير الخريطة^(٣) ، وهي مائة دينار فيها مائتان ، مكتوب على كل دينار " ضرب الحسن الخريطة أمير المؤمنين " . قلت : وهذه الدنانير هي التي يتيم منها أمير المؤمنين على المؤمنين ونحوهم ، ومعنى الحسن : القصر الحسن الذي هو الآن بمدينة بغداد ، وعمره الحسن بن سهل . وصير نقصان الدراهم قيراطاً^(٤) غير حبة ، واستمر الأمر كذلك إلى شهر رمضان سنة أربع وثمانين ومائة

(١) الماشية : نسبة إلى ماشم والنقص : نكث النقود المتأدية .

(٢) العتق : المقصود بذلك النقود القديمة تميزاً لها عن غيرها من النقود المستوردة حديثاً . د. راجت التبر لوي : المرجع السابق ص ٢٤٧ .

(٣) دنانير الخريطة : يذكر كل من د. الثعالوني ، زيادة في النقود بالخريطة ما هي للخزائن الخليفة وصاحب الخريطة بمثل صاحب بيت المال . فطر للمفرد : إغاثة الأمة : السفة (د) من ٩٠ حبات .

(٤) القيراط : هو مقدار جزء من عشرين من المثقال وهو من مستحقات عند الثلث من مروان . د. راجت التبر لوي : المرجع السابق من ٢٤٣ .

فصل

وأما مصر من بن الأمصار مما برح نفعها المسوب إلى قيم الأعمال وأمان
البيعات الذهب خاصة ، كل سائر دولها جاهلية وإسلاماً . يشهد لذلك بالصحة
أن تبلغ خراج مصر في قدم الدهر وحديثه إما هو الذهب ، كما ستقف إن شاء
الله تعالى على تفصيله ، فيما أنا عازم عليه من أفراد تأليف^(١) يحتوي على عامة
أحوال خراج مصر ، منذ مضرت و عرفت أخبارها ، وإلى هذا الزمن الحاضر .

وكفى من الدلالة على صحة ما تقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " متفت العراق درهمها وقبيزها ، و منعت
/ الشام مئذها ودينارها ، ومنعت مصر أدرتها ودينارها " ، أخرجه مسلم وأبو
داود . فذكر ﷺ كل بلد وما يخص به من كيل وثقل ، وأشار إلى أن تقدم مصر
الذهب . وكان في هذا الحديث ما يشهد بصحة فعل عمر بن الخطاب رضي الله
تعالى عنه ، فإنه لما افتتح العراق في سنة ست عشرة من الهجرة [١٦هـ] بعث
عثمان بن حنيف ، ففرض على أرض السواد : على كل خرب من الكرم عشرة
درهم ، وعلى كل حريب من النخل مائة درهم ، وعلى حريب القصب
والشعر ستة دراهم ، وعلى خرب البر^(٢) أربعة دراهم ، وعلى حريب الشعير
درهمين ؛ وكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فارتضاه .

ولما فتحت مصر - في سنة عشرين [٢٠هـ] على الصحيح - فرض عمرو
ابن العاص على جميع من بها من القبط دينارين دينارين ، فجئيت أول عام^(٣) اثنا
عشر ألف دينار . وقيل جئيت سنة عشر ألف دينار ؛ وضربت الجزية

(١) لا يوجد للمقريزي كتاب متفصل عن خراج مصر وزعم لم يصل إلينا ، ولكنه ذكر في كتابه المواضع
والاعتبار مقاتلين عن الخراج في مصر ولبنوتيه وأخرجهما في الزمن الأول . فطر المراعطة والاعتبار
للمقريزي : ج ١ ص ١٥٨ - ١٦٠ . بعد الأدلة

(٢) حسب القبح

من المحرة [٦٤هـ] ، ثم فشت في الأمصار أيام دول اتعظم الدراهم الزبدي ،
واختلفت أراؤهم بالعراق فيها . ولم ينضبط حتى الآن أمرها ، وأرجو أن يوفقني
الله على تفصيل ذلك ، (إن شاء الله تعالى)^(٤) .



- الأب فستلن الكرمل : المرجع السابق ص ٥٧ حاشية ٤ - لم نقله على كتاب النقود القديمة
والإسلامية للمقريزي .
من الجدير بالذكر أن الدراهم الناصرية التي ضربها صلاح الدين كانت رقيقة تصل نسبة الخالص فيها إلى
النصف . وهكذا كانت لقوة الاسمية الثانوية لهذه الدراهم تتقوى على قيمتها المعدنية مما أفسد بالسلار
ضربوا بها قروما في مصر بالزبدي ، وفي سنة ٦٢٢هـ كمل التكميل التعامل بها وأفسد دراهم
جديدة . عبد الرحمن لهر : المرجع السابق ص ٧٣ -
(٢) لم ترد هذه العبارة في (و) .

على كل عِلج^(١) من علوج مصر الذين أبقوا العمارة الأرض أربعة دنانير في كسل سنة سوى خراج الأرض ؛ فأقر ذلك عمرُ بن الخطاب رضي الله تعالى عنه .
وأما أهل السواد فإن عمر رضي الله عنه أقرهم على منسلة أهل الذمة ، و فرص على كل عِلج منهم أربعين درهماً ، فحُيِّت مائة ألف ألف وسبعة وخمسين ألف درهم ، وقيل مائة ألف ألف وستون ألف درهم ؛ وما زال خراج / السواد دراهم .
ولولا خوف الإطالة لَسَرَدْتُ الأخبار التي توضح أن معاملة مصر ما زالت بالذهب فقط ما يقوم منه سيفر ضخم ، وفوق كل ذي علم عليم .
وأما الفضة فكانت مصر تخذل حلياً وأواني ، وقد يُستَرَبُ منها الشيءُ للعمليات التي يُحتاج إليها في اليوم لفقات السيوت . وأول ما رأيت للدراهم^(٢) ذكرًا عصر في أيام الحاكم بأمر الله أحد خلافات الفاطميين . قال الأمير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد المسيحي^(٣) عفى الله عنه في تاريخه الكبير : "وفي شهر ربيع الأول ، يعني من سنة سبع وتسعين وثلاثمائة ، تزايد أمر الدراهم القطع والزيادة ، فبيعت أربعة وثلاثون درهماً بدينار ، ونزع السمر ، واضطربت أمور

(١) عِلج : بالكسر السور والحصار وحمل الوحش للصيد التوقي والزعيف للثيف الحرف والرجل من كمار اللحم والجمع علوج - والمقصود هنا الرجل من كمار اللحم .
الفرز ليدلي : القاموس المسيط ، بلب الجمع لصل العين .

(٢) ورت لي (أ) فقط .

(٣) عرفت مصر الدراهم منذ الفتح العربي كما عرفت الديار والقس ، ومن الواضح أن المقريزي جانيه الصواب في هذه النقطة بل ذكره أن الدراهم لم تعرف في مصر إلا في عصر الفاطمي وحقيقة أن الدراهم المصرية الأموية لم يصلنا منها شيء إلا أن هناك دليلان يؤكدان ذلك ألا وهما :

١- الإشارة إلى الدراهم في كثير من أوراق البردي المصرية التي كانت في هذه الفترة وهذه الأوراق موجودة في دار الكتب المصرية .

٢- منح السكة الموجودة بمختلف أقاليم الإقليم أيضاً تؤكد ذلك حيث توجد منح الدرهم وأجزاءه - نظراً . عبد الرحمن فهمي : النقود العربية لمصرها وحاضرها من ١٨٤٧ .

لنرى الكاتب المسيحي وك في مصر سنة ٢١٦هـ . والتحق بخدمته الخليفة الحاكم بأمر الله ونسأل عنه العظيمة وأقده القيد ويخلصنا من أعمال الصناديق ثم شغل فيما بعد رئاسة ديوان فستريب في (الإدارة المركزية والمسيحية مؤلفات عبيد أهمها كتابه أخبار مصر - الذي كان مؤلفاً ضخماً لم يصلنا منه إلا الجزء الأربعون . وقد توفي المسيحي سنة ٤٢٠هـ . المسيحي : أخبار مصر في سنة ١٥١٤هـ (١٥١٤هـ) لتخليق وليد ج - ميلارد ص ٤٥ .

الناس . فُرِقت الدراهم ، وأُنزل معشرين صندوقاً من بيت المال فيها دراهم جُدُد ، ففُرِقت في الصبارف ، وفُرِقت سحل برفعها وألاً يتعامل بها ، وأنظر من في يده شيء منها ثلاثة أيام ، وأذا بُورَدَ جميع ما تمحط منها إلى دار الضرب .

/ فاضطربت الناس ، وبلغت الدراهم النقطع والمزايمة^(١) أربعة دراهم بدرهم ١٥ من الجدد ، وتقرّر أمر الدارهم الجدد على لمائة عشر درهماً بدينار . ثم اشتتهر في كتب الأخبار أن الفضة صارت تُضرب نقوداً بمصر ، وأما سُميت بين الدراهم باسم المسوَّدة ، وبما كانت معاملة أهل مصر والقاهرة والإسكندرية ، ويُعرف بتقدير مصر . وأدركت الإسكندرية وأهلها لا يتعاملون إلا بها ، ويُسمونها الزرقى . واختلف آراء خلفاء مصر وملوكها في مقدار الدرهم اختلافاً لم ينضبط إلى الآن .

وحقيقة الدراهم السود^(٢) : النحاس فيه اليسير من الفضة ، ولم تزل المعاملة بما سحى استولت دولة بني أيوب على مملكتي مصر والشام ، ومثلت منهم محمد الكامل بن العادل . ففي ذي القعدة من سنة ثنتين وعشرين وستمائة [٦٢٢هـ] أمر الكامل بضرب دراهم مستديرة ، وتقدم ألا يتعامل الناس بالدراهم المصرية العتيق^(٣) ، وهي التي يدعوها أهل مصر الزرقى . فنهض الناس بالدراهم السورق^(٤) ، وتركوا التعامل بها ؛ إذ الرعية على دين راعيها . وكانت الدراهم الكاملية^(٥) -

(١) النقطع والمزايمة : ورد تعريفها في جوالي من ١١ .
(٢) نحن مع د . شوش ود ، زيادة في اعتقدهما أن ما قصد به المقريزي أن الدراهم التي فيها اليسير من النحاس هي الدراهم المستديرة وليست السود .

والدراهم المستديرة هي التي يكون ثقلها من فضة وثقل من نحاس وتطبع بسننور مصروب إلى الشكل المستديرة . د . زائد المقريزي : تخرج سلفاً : ص ٣٤١ . وقيل عاش من ١٥٠ من (أ) .

(٣) أي الدراهم التي ضربها صلاح الدين .

(٤) ورت لي (أ) فقط .

(٥) الدراهم الكاملية : حتى وفاة السلطان الكامل كان في مصر نوعان رئيسيان من النقود المتعامل بها وهي الدراهم النقطية والدرهم النحاسية ، وتقرّر كل درهم بقدره من الفضة بست من الدراهم النحاسية ، ووصل الأمر إلى حد توقيع النقود النحاسية على كل من يخالف ذلك . د . عبد الرحمن فهمي : النقود العربية : ص ١٦ .

٢٩ وهي التي أدركنا الناس / يتعاملون بها - ثلثها فضة وثلث نحاس ، يضاف علسي-

الثانية من الفضة الحاصلة خمسون درهماً من النحاس .

وراحت هذه الدراهم في بقية دولة بني أيوب ، ثم في أيام مواليتهم الأتراك بمصر والشام وراحاً حتى قلَّ الذهب^(١) بالنسبة إليها ، وصارت المبيعات الخفيفة تُباع وتُؤمَّم بها ، وإليها تُنسب عامة أثمان المبيعات وتُقيم الأعمال ، وبها يُؤخذ خراج الأراضين وأجرة المساكن وغير ذلك . وكان الدرهم بمسائي عشرة خروبة ، والخروبة^(٢) ثلاث قمحيات ، والتقال أربع وعشرون خروبة . والصنعة تنقّسات بمصر والشام ، فتتقصر كلُّ مائة مثقال مثاقيل وربعاً بمصر وكذلك الدراهم . وأما الفلوس^(٣) فإنه لما كان في المبيعات عمقرات تقلُّ عن أن يُباع بدرهم أو جزء منه ، احتاج الناس من أجل ذلك في القديم والحديث من الزمان إلى شئ سيوى تقلدَي الذهب والفضة يكون بإزاء تلك المحقرات ، لم يُسمَّ أبدً على وجسه الدهر ساعة من محار فيما عُرِف من أخبار الخليقة تنقلا ، ولا أقيم قطَّ بمزلة أحد التقنين . واختلفت مذاهب البشر وآراؤهم فيما يجعلونه بإزاء تلك المحقرات ، فلم

(١) ترجع أسباب قلّة الذهب في العصر الأيوبي إلى سببين هما :
- ظاهرة الاكتناز حيث لبّأ إليه سلاطين الدولة الأيوبية للاحتفاظ بالثروة الجيدة فقط من الثاثير للدينية

دون غيرها .
ب- شرب الذهب من قبله خلال العمليات الحربية التي رهطت بها مصر والشام منذ أوّل العصر الإسلامي وواصل العصر الأيوبي حتى أن مرهبات الجنود الأيوبيين كانت تصروف بالدرهم الفضية رغم أنها مقنّرة إسمياً بالذهب على أسس أن سعر الدينار ستة عشر درهماً . د . عبد الرحمن السهمي : المرجع السابق ص ٧٢ .

(٢) الخروبة : وحدة وزن قرّرت حوالي ١٩١ جرام .

(٣) الفلوس : جمع للفل وقيل لا يعني بالضرورة عملة لحامية بالرغم من أن استعمالها للثاثير منذ فجر الإسلام كان في هذا نغرض الضيق وأقل الناس مشتق من اليونانية وقد استعار العرب تلك الكلمة عن الفيلزطينيين وكانت تسمى FOLLIS غير أن العرب لم يتقبّلوا وزن هذا النوع من العملة الفيلزطينية إذ كان هذا الوزن عند الفتح العربي لمصر وسوريا ومصر في غاية الاضطراب فاضربوا فلوساً عربية في بعلبك وحمص وحلب ودمشق وطبرية والفسطاط والإسكندرية واختلفت أوزانها وتباينت باختلاف الإقليم الذي ضربت فيه وفي كانت النسبة الشرعية بين الفلوس والدرهم معروفة ٤٨ - ١ والأصل في هذا التسويع من الدراهم النقدية أن تكون عملة تساعد على إجراء العمليات التجارية البسيطة وتقتصد بالناس فيما قلعة من العملة بحبل بالوزن . د . عبد الرحمن السهمي : المرجع السابق ص ١٣ ، د . رأفت البرلوي : المرجع السابق ص ٢٤٠ ، ٢٤١ .

يزل بمصر والشام وعراقي العرب والمخّم وفارس والروم في أول الدهر وأخبره ملك هذه الأقاليم ، لعظمتهم وشدة بأسهم ونصرة ملكهم ، وكثرة ضارهم وخزائنه^(١) استطاعهم ، يجعلون بإزاء هذه المحقرات ثماناً بضربون البسّ منه قطعاً صغاراً تُسمّيها العرب فلوساً لشراء ذلك ، ولا يكاد يوجد من / هذه الفلوسين إلا القر البسر ، مع أنّها لم تقم أبداً في هذه الأقاليم بمزلة أحد التقنين قط . وكان سبب ضربها بمصر في أيام الكامل الأيوبي - بعد أن لم تكن - أن امرأة تعرضت لحطّيب الجامع بمصر وهو إذ ذاك أبو الطاهر الخلي تستفيه : " أعمل شرب الماء لم لا ؟ فقال : " يا أمة الله ! وما يمنع من شرب الماء ؟ " فقالت : " إن السلطان ضرب هذه الدراهم ، وإنني أشتري التبرية بنصف درهم منها ، ومعنى درهم ، فيرد السقاء على نصف درهم ورقاً^(٢) ، فكأنني اشتريت منه ماء ونصف درهم بدرهم . فأنكر أبو الطاهر ذلك ، واجتمع بالسلطان وتكلم معه في ذلك ، فأمر بضرب الفلوس^(٣) .

ولقد كان ببغداد ، التي أُرثت عمارتها على عامة الأمصار ، يُختل بإزاء غالب المبيعات عوضاً منها الخبز ، يوضّح ذلك ما علّقته من رسالة الشيخ الرئيس أبي القاسم ابن أبي زيد إلى بعض إخوانه يخبره بأخبار البلاد التي سلّكها وما همى عليه ، وذلك عند سفره من مصر وحصوله ببغداد ، في سنة بضع وأربع مائة . قال بعد صدر طويل : " أما الخبز فيبرز عجيبة على باب الدكان ، فيجتمع عليه عدد كثير من الذهب ، ثم يُخزونه في تانير قد أُحجبت بالدخان ، ويسالون في تخفيف الرغفان ، ويتعاملون به في الأسواق ، ويقومونه بمقام الدرهم في الإنفاق ،

(١) خروبة : أي وحدة عظيمة .

(٢) ورقاً : أي فضة .

(٣) الدراهم الفلوس : أمراً إليها في حاشي من ٥٦ حاشية : أن السلطان الكامل قد ضربها ، ولدرهم الفلوس مصطلح يقصد به الفلّ النحاس الذي يبلغ وزنه وزن درهم واحد أي ٢,٩٧ جرام . د . رأفت البرلوي : المرجع السابق ص ٢٤٢ .

ذلك إلى نحو السبعين والسبعمئة [٧٧٠هـ] ، وأدركا ريف مصر وأمنه
يشترى الكثير من الخواتج والمأكولات ببعض الدجاج وشحال الدقيق ، و - سردي
مشاق الكنان ، إلى آخر هذه الحوادث . وكل هؤلاء إنما يتخذون ما تقدم ذكره
لشراء الأمور المحفزة فقط ، ولم يجعل أحد منهم شيئاً من ذلك نقداً يُخسرون ، ولا
يشترى به شيء حليل الله .

ولما ضربت الفلوس كما مر في أيام الكامل تنايع الملوك في مربيها حتى

كثرت في الأيدي ، وما زالت العامة تمتعت فيها لما يلائمها من القِطْع المذمومة

للقطع التي يأمر السلطان بالتعامل بها ، فتقدم الولاة بصلاح ذلك .

/ وكانت الفلوس أولاً تُعَدُّ في الدرهم الكاملي عمانية وأربعين فلساً ، ويُسمَّى

الفلس أربع قطع تمام كل قطعة مقام فلسي ، يُشترى بها ما يُشترى بالفلوس ؛

فيحصل بذلك من الرفق للنوى المحامات ما لا يكاد يُوصَف . ومما أدى الأمر على

ذلك إلى بعد الحسنيين والسماتة [٦٥٠هـ] من المحمرة ، فسوّى بعض المصالح

لأرباب الدولة حُبَّ العائدة وضمين ضرب الفلوس بمال قرره على نفسه ؛ وجعل

كل فلس يُوزَن مثقالاً ، والدرهم يُعَدُّ أربعة وعشرين فلساً . فقتل ذلك على الناس ،

وإنكاهم^(١) موقفه لما فيه من الخسارة ؛ لأنه صار ما يُشترى بدهم هو ما كان يُبَلُّ

يشترى بنصف درهم ؛ ثم توطئت نفوس الناس على ذلك ، إذ هم أبناء العوائل .

وكانت الفلوس مع ذلك لا يُشترى بها شيء من الأمور الجليلة وإنما هي لتفانيات

البيوت ، ولأغراض ما يُحتاج إليه من الحضر والبقول ونحوها .

فلما كانت سلطة العادل كيبفاً ، وأكثر الوزير فخر الدين عمر بن عجل

العزيز الخليلي من الظالم . وحازت حاشية السلطان وماليكه على الناس ، وضمعوا

في أخذ الأموال والزراطين والحمايات^(٢) ، وضربت الفلوس ، توقفت الناس فيها

(١) أنكاهم : أفسدهم وأزواه بهم شائعة

(٢) تفرطيل : حمايات : القربا الجيدة لهم من ٣٢ خاتمة ١١

ويتشبهونه ثلثاً قد اصطلاحوا عليه . وجعلوا لذلك قانوناً يرجعون إليه : فمردون
الثلوم والمكرج^(١) كما بُرد الدرهم الزائف والدينار المهرج^(٢) / ويشترى به أكثر
المأكولات والمشروبات ، ويدخلون بها الحمايات وبأخذة التناز^(٣) والخشاش ، ولا
يرده البراز^(٤) ولا العطار . وللرغيف السميد^(٥) على غيره صرف مقدّر ، وجسار
عندهم معلوم محرّر ؛ ومع هذه العناية والاحتياط يُباع كل ستن رغيفاً بفسراط .
وكثير من يخط حافط المغرب محمد بن سعيد في كتابه الذي سماه " جتنا النحل
وحيا للنحل " ما نصه : " فأخرج لي أحد هؤلاء النصار - يعني بخاراً رآهم ببغداد
لما رحل إليها - ورقة فيها خطوط بقلم الخط^(٦) ، وذكر لها من ورق التوت فيها
لينة ونعنة ، وأن هذه الورقة إذا احتاج إنسان في خان بالي من بلاد الصين لخسة
دراهم دفعها فيها ، وأن ملكها يتم لهم هذه الأوراق ، ويتبع بما سأخذ بدلاً
عنها ، انتهى .

/ وأخبرني من لا أتهم أنه شاهد في بعض مدن إقليم الصعيد أهلها يتعاملون

في محقرات المبيعات بالكودة^(٧) وتسمى بمصر الذوّع ، كما يتعامل أهل مصر الآن

بالفلوس . وأخبرني بقة أن بعض بلاد الهند يشتري الكثير من الساكل بالمنص

والبلع . وأدركت أنا والناس من أهل نهر إسكندرية وهم يعملون في مقابلة

الحضرة والحوامض والبقول ونحو ذلك كثير الخبز ، ولشراء ما يُراد منه ، ولم يزل

(١) المكرج : هو الخبز الذي لصد وعلة خضرة .

(٢) الدينار المهرج : يعتقد البعض أن المقصود بالهجرة هو الدينار المهرج لو الردى المتفوط ولكن هذا

غير صحيح ، والصحيح أن الهجرة هو الذهب الإسلامي الخاص من النقش . رأت القراوى : المرح

الساقي من ٢٤٥ .

(٣) التناز : صالحي السميد .

(٤) البراز : بالغ البر ، والبراز نوع من التراب : القاموس المحيط : باب الزاي فصل ثياب

(٥) السميد : هو لباب التفلح .

(٦) قلم الخطا : الخطا بلد المغول وهي الجزء الغربي من بلاد الصين وكانت عاصمتها خانو داي وسر

بلاد الخطا كانت إمارات جديك خان ومن تلامه من خالت المغول : القنطاري : صبيح الأملسي ج : ص

٤٨٧ ، ٤٨٢ .

(٧) الكودة : هي النوع الذي يستخرج من البحر . القنطاري : شلور المغول بذكر التود : ص ٥٠ .

أربعة وعشرين فلساً ، وبلغ النقال من الذهب ثلث الإسكندرية ثلاثمائة درهم من الفلوس ، فدفعي الناس بسبب ذلك داهية أذهبت المال ، وأوجبت قلة الأقوات ، وتعذر وجود المطبوعات لاختلاف النقود ، ولأنه كبحني من تمادي ذلك أن تحول حال أهل الإقليم ، (وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من)
 قال .

لحقها فتودي في سه خمس وسعين وثمانية | ٦٩٥ هـ | أن ثورين بالميزان . وأن يكون الفلوس ربة درهم ، ثم يودي على الرطل منها بدرهمين . وكان هذا أول ما عُرِف بمصر من ورث الفلوس والمعاملة بها ورثاً لا عدداً .

٧١ / لما كانت أيام الظاهر برفوق ، وتولى محمود بن عيسى الاستادار أمر

الأموال السلطانية ، شره إلى القوائد وتخصيل الأموال ، فكان مما أحدث الزيادة الكبيرة من الفلوس ، فبعث إلى بلاد فرقة لجلب النحاس الأحمر ، وضيق ديار الضرب بالقاهرة بمجلة من المال ، ودأب ضرب الفلوس بها مدة أيامه ، واتخذ بالإسكندرية دار ضرب لعمل الفلوس . فكثر الفلوس بأيدي الناس كثرة بالغة ، وراحت راجحاً صارت من أجله هي النقد الغالب في البلد . وقلت الدراهم لأمرين : أحدهما : عدم ضررها البتة ، والثاني : سبب ما بأيدي الناس منها لاتخاذ حلياً منذ تفتت أمراء السلطان وأبايعهم في دواعي الترف ، وتأنقهم في المباهاة بفاخر الزي وحليل الشارة . ووجد مع ذلك الذهب بأيدي الناس ، بعد أن كان لا يوجد مع كل أحد ، لكثرة ما كان يترجمه الظاهر برفوق في الإنعام على أمراء الدولة ورجالها ، وفي تنفقات الحروب والأسفار ، وفي الصيالات زمن الغلاء . فمات الظاهر وللناس ثلاثة نقود : أكثرها الفلوس ، وهو النقد الراجح الغالب ، والثاني الذهب وهو أقل وجدانا من الفلوس ، وأما الفضة فقلت حتى بطل التعامل بها لمزجها^١ . وكان يعطى في الديار الذهب منها إلى ثلاثين درهما . ثم كثر الذهب بأيدي الناس حتى صار مع أقل السوق ، وعظم رواج الفلوس ، وكثرت كثرة بالغة حتى صارت المبيعات وقِيم الأعمال كلها تُنسب إلى الفلوس خاصة .

٧٢ وبلغ الذهب كل متقال منه إلى مائة وخمسين من الفلوس ، والفضة كل

زنة درهم من المضروب منها بخمسة دراهم من الفلوس ، التي كل درهم منها يُعَدُّ

(١) لمزجتها : أي تقطيعها ولصقها .

فصل في ذكر أقسام الناس وأصنافهم وبيان جمل من أحوالهم وأوصافهم.

اعلم حرسك الله بعينه التي لا تنام ، وركبه الذي لا يُرام ، أن الناس ينقسمون في الجملة على سبعة أقسام : القسم الأول : أهل الدولة ، والقسم الثاني : أهل اليسار من التجار وأولى النعمة من ذوي الرفاهية ، والقسم الثالث : الباعة وهم متوسطو الحال من التجار ، ويقال لهم أصحاب البز ، ويلحق بهم أصحاب المعاييش وهم السوق ، والقسم الرابع : أهل الفلح^(١) ، وهم أهل الزراعات والحراث ، سكان القرى والريف ، والقسم الخامس : الفقراء ، وهم حل الفقهاء ، وطلاب العلم ، والكثير من أجناد الحلقة ونحوهم ، والقسم السادس : أرباب الصنائع والأجراء أصحاب المهن ، والقسم السابع : ذوو الحاجة والسكنة ، وهم السؤال الذين يتكفون الناس ويعيشون منهم .

• فلما القسم الأول ، وهم أهل الدولة ، فتحلم في هذه الحن على ما يبدو لهم ، ولن لا تأمل عنده ، ولا معرفة له بأحوال الرحود ، أن الأموال كثررت بأيديهم بالنسبة لما كانت قل هذه الحن ، باعتبار ما يتحصل لهم من خراج الأراضي ، فإن الأرض التي كان مبلغ خراجها من قبل هذه الحوادث مثلاً عشرين ألف درهم صار الآن خراجها مائة ألف درهم . وهذا الظن ليس بصحيح ، بل قلت أموالهم بالنسبة إلى ما كانت عليه أموال أمثالهم من قبل : وبيان ذلك أن العشرين ألف درهم فيما سلف كان مالكتها ينفق منها فيما أخسست واحداً ، ويذكر منها بعد ذلك ما شاء الله ، لأنها كانت دراهم ، وهي قيمة ألف مثقال من

الذهب أو قريب منها . والآن إنما يأتيه نذل تلك المائة ألف درهم فلوس ، هي قيمة ستمائة وستة وستين مثقالاً من الذهب ، يلقى ذلك فيما يحتاج إليه في اليوم من لحم وخضر وتوابل وزيت ونحوه ، وبما لا يد له من كسوته وكسوة عياله ، وما تدعو إليه الحاجة من حنل وسلاح وغيره ، مما كان يشتريه قبل هذه الحن بعشرة آلاف من الفضة ونحوها . ولولا تساوي العالم من الحاجة والمائة بتفاوت ما بين سعر المبيعات الآن وبين /سعرها قبل هذه الحن لثبأ ذلك ، ولا يد من الإلماخ^(٢) بطرف منه إن شاء الله تعالى : فاخل الدولة لو ألهموا رُشدهم ، وتصحروا أنفسهم ، تعلموا أنهم لم ينلهم ربح البتة بزيادة الأطلان ، ولا بغلاء سعر الذهب الذي كان أصل هذا البلاء ، وسبب هذه الحن ؛ بل هم خاسرون ، وأن ذلك مسن تليس مباشرهم ليُتهم ما يحبون من أعراضهم ، ولا ينجي^(٣) المكر السيئ إلا بأهله :

• وأما القسم الثاني ، وهم مياسر التجار وأولو النعمة والسترف ، فبيان

التاجر إذا استفاد مثلاً ثلاثة آلاف درهم في بضاعته ، فلما يتعوض عنها فلوساً أو عشرين مثقالاً من الذهب ، ويحتاج إلى صرفها فيما لا غنى له عنه من مؤنوكه ومؤونة عياله ، وكسوته وكسوة عياله ، فهو لو تأمل لأضح له أنه لما كان أولاً يستفيد في مثل هذه البضاعة ألف درهم مثلاً ، ألما تغنى عنه في كلفته أكثر مما تغنى عنه هذه الثلاثة آلاف درهم من الفلوس بكثير ، فالبائس لغاوته يزعم أنه استفاد ، وفي الحقيقة إنما خسّر ، ولسوف عما قليل يتكشف له الغطاء ، ويرى ماله قد أكلته النفقات ، وأتلفه اختلاف القود ، فيعلم فساد ما كان يظن ، وكذب ما كان يزعم ، (ومن يظنل الله فمأه من هاد) .

• وأما القسم الثالث ، وهم أصحاب البز وأرباب المعاييش ، فالحلم في هذا

الحن يعيشون مما يتحصل لهم من الربح ؛ فإن أخذهم لا يتشع من القوائد إلا بالكثير

(١) الفلح : الفلاحون .

(٢) الإلماخ : الخسار .

أنه لم يبق منهم إلا القليل لموت أكبرهم . بحيث لم يوحّد منهم الواحد إلا بعد
تطلب وعاء . والله غافقٌ الأمور .

• وأما القسم السابع ، فهم أهل الخصامة والسكة ، فبقي معطّهم حروما
وبردا ، ولم يبق منهم إلا أقل من القليل . لا يُسأل عما يفعلون ولم يُسألون .



جداً ، وهو يُعبّد ساعات من يومه يُنفق ما اكسبه فيما لا بدّ له منه من الكسب ،
وخشبه ألا يستدين لقيمة حاجته ، ويُنفق كما قال الأول :

على أنني راضي بأن أحمل الموى وأخضع منه لا غنى ولا ليا

• وأما القسم الرابع ، وهم أصحاب الفلاحة والحراث ، فهلك معطّهم

لما قدّمناه من شدّة السنين وتوالي المحن بقلّة رى الأرضي . وفهم من أسرى ،

٧٠

وهم / الذين ارتوت أراضيتهم في سبيل المخل^(١) ، فقالوا من زراعتها أموالاً جربلة

عاشوا بما هذه الأزمّة ، على أن فهم من عظمت ثروته ، وفخمت نعمته ، ونال

ما أُرئى^(٢) على مراده ، وزاد على ما أمّله ، « والله يُقبضُ يدهم وألبه ترهتونه » .

• وأما القسم الخامس ، فهم أكثر الفقهاء وطلاب العلم ومن يلحق بهم من

الشهود^(٣) ، والكثير من أجناد الخلقة ، ومن شابههم ممن له عفاً أو حصار من

معلوم^(٤) سلطان ، أو غيره ، فهم ما بين ميت كوا مشتهى الموت ، لسوء ما خلّ

بهم . فإن أخذهم إذا أكتة مائة درهم مثلاً فإن ما يأخذ عنها فلوساً أو ثلثي مثقال ،

يُنفق ذلك فيما كان يُنفق فيه من قبل عشرين درهماً من الفضة . فلحقهم من أجل

ذلك القلّة والخصامة^(٥) ، وساءت أحوالهم « وما أصابكم من مصيبة فبما كُتبت

أيديكم ويعتبر عن كثير » .

• وأما القسم السادس ، فهم أرباب المهن والأجراء والخصالين والخدم

والسوّاس والحاكة والنقاة وغوهم ، فإن أجزهم تضاعفت تضاعفاً كثيراً ، إلا

(١) المخل : أي الجنب والشدّة .
(٢) أُرئى : زك لو حصل على أكثر مما يريد .

(٣) الشهود : جمع شاهد . وهو موظف مثلي في بعض النوازل الإسلامية وقد ذكر ابن معالي أنه وجد نسج
النواة الأيوبية موظف من أرباب الوظائف النوبوية يقال له شاهد وكان من لوازمه أن يقبض كل شيء منه
شاهد فيه وأن يكون له تطبيق بخدمته وأن يكتب الحساب الموقوف لتطبيقه ، وظلّ لشاهد بهذه الدلالة نسج
عصر المماليك وقد اعتبره القفاشادي خاضع الوظائف النوبوية في عصر المماليك . ابن معالي : كوا النوب
شهود من ٣٠٤ ، ٤٥٦ ، وحسن الناباشا : النوازل الإسلامية والوظائف على الأئام العربية : ج ٢ ص
١٢٢ ، ١٢٣ .

(٤) وزدت في (ل) «ممود لو سلطان» والصيغة الشبهة هنا من (و)

(٥) القلّة والحاجة وسوء الحال .

/فصل/
في ذكر ثبوت أسعار
هذا الزمن وإيراد طرف من أخبار هذه العجّن

اعلم أسعدك الله سعادة الأبد ، وأناك فوز السرمد (١) ، أن الذي استقر أمر
الجمهور بإقليم مصر عليه في النقد : الفلوس خاصة ، فيعملونها عوضاً عن المبيعات
كلها من أصناف المأكولات وأنواع المشروبات وسائر المبيعات ، وبأخذونها في
خراج الأرضين وعشور أموال التجارة ، وعامة محايي السلطان ، ويصيرونها قيمًا
عن الأعمال جليلها وحقيقها ، لا تُقدّم سيّوها ولا مال إلا إياها ، على أن كل
قنطار (٢) منها وهو مائة رطل مصرية وزنًا (٣) بستمائة درهم نقدًا ، حساباً عن كل
قنطار (٤) وهو زنة مائة وأربعة وأربعين درهماً وزنًا ستة دراهم ، وعن كل درهم
منها أوقيتان زنتهما أربعة وعشرون درهماً ؛ بدعة أحدثوها بولية ابتداءها ، لا
أصل لها في ملة نبوية ، ولا مستند لفعلها عن طريق شرعية ، ولا شبهة لابتدعها في
الاقتداء بفعل أحد ممن عُبّر ، ولا انتسابه بقول واحد من البشر ، سوى شيء نشأ
عنه ذهابُ محبة الدنيا وزوالُ زيتها ، وتلافُ الأموال وفسادُ زخرفها ، ومصير
الكافة إلى القلة ، وشمول الفاقة للجمهور مع الذلّة ؛ ليَقْضَى الله أمراً كان مُفْعُولاً .
وأما أسعار المبيعات : فإن الذهب انتهى بخاضرة القاهرة ورُبّعها كلّ منقال
منه إلى مائة وخمسين درهماً من الفلوس ، وبلغ بغير الإسكندرية كلّ منقال إلى
ثلاثمائة درهم فلوساً . وبلغت دراهمُ المعاملة كل زنة درهم منها خمسة دراهم

٧٧

فلوساً . وانتهى الأردب من القمح إلى أربعمائة وخمسين فلوساً غير الكلفة وهي :
عن السمسة عشرة دراهم ، والحمولة سبعة دراهم ، والغربة ثلاثة دراهم ،
وأجرة الطحن ثلاثون درهماً ، فذلك خمسون درهماً ، ويُحْصَل عن الأردب
قمحاً نقياً خمساً وثلاثين فقط ، وينقص منه سُدُسُهُ غلّاً ، فإذا لا يتبها كل أردب
إلا من حساب ستمائة درهم فلوساً . وبلغ كل أردب من الشعير والفول ما ينيف
عن ثلاثمائة درهم سوى الكنف ، والأردب من البسلة ثمانمائة درهم ، ومن
الحمص خمسمائة درهم ، والرأس الواحد من البقر بمائة مثقال من الذهب - عنها
خمس عشرة ألف درهم من الفلوس - ، والرطل الواحد من اللحم البقري النيئ
سبعة دراهم فلوساً ، والرطل الواحد من الضأن بخمسة عشر درهماً ، والطائر
الواحد من الدجاج من مائة (٥) درهم إلى عشرين درهماً فلوساً ، والطائر الواحد
من الأوز من مائتي درهم كل طائر منها إلى خمسين درهماً فلوساً ، والرأس الواحد
من الغنم الضأن بمائتي درهم عن ألفي / درهم فلوساً . وأبيع الجملُ بسبعة آلاف ٧٨
فلوساً ، والقُدْحُ (٦) الواحد من لب القطرين بمائة درهم وعشرين درهماً فلوساً ،
والقدح من الأرز بخمسة عشر درهماً فلوساً ، والأردب الواحد من بذر الجوز
بخمسمائة درهم فلوساً ، وكلُّ قدح من بذر الفجل بمائة وخمسين درهماً فلوساً ،
وكل قدح من بذر النفت ثلاثمائة درهم فلوساً ، وكل قنطار من الشرج - غير
الكلفة - بألف ومائتي درهم فلوساً ، والبطيخة الواحدة في أوان البطيخ بعشرين
درهم فلوساً ، وكل رطل من العنب في أوانه بأربعة دراهم ، وكل قنطار من
الفرع بمائة درهم فلوساً ، والسكر كلّ رطلٍ إلى سبعين درهماً فلوساً ، وزيت
الزيتون كل قنطار منه خمسمائة وخمسين درهماً فلوساً ، والثوب القطن بألف
وخمسمائة درهم فلوساً ، والدراع الواحد من ثياب الكتان الذي لم يُغَصَّر يوضع

(١) وردت في (ب) بمائة وخمسة مائة من (و) .
(٢) القُدْح : مكان يسرى فيه الكثرة من الحمص ، الجمع قدح .

(١) السرمد : الدائم والطويل من الثيابي . القاموس المحيط : باب الدال ، فصل السين .
(٢) قنطار : القنطار مائة رطل والرطل ثمانية عشر أوقية والأوقية ثمانية عشر درهماً فيكون رطل مائة
وأربعة وأربعين درهماً . د. راجع للبرواي : نفقود الإسلامية في مصر من ٢٤٣ .
(٣) وردت هذه الكلمة في (ب) فقط .
(٤) وردت في (و) رطل .

الأمور . واحتشيت الأحوال وآل أمر الناس / بسبه إلى العدم والزوال ، وأُشِفَ ٨٠
من أحبه الإقليم على الدمار والاضمحلال ، ولكنَّ الله يُنْقِلُ مَا يَشَاءُ .

عشر درهما ، والبيضة الواحدة من بيض الدجاج نصف درهم فلوسا ، و اللبونة
الواحدة بثلاثة دراهم فلوسا ، والرطل الواحد من الكنان الذي لم يُمشق بعشرين
درهما فلوسا .

ويبلغ بالإسكندرية وثروجة^(١) كل قدح واحد من القمح إلى أربعين درهما
فلوسا ، ومن الشعير ثلاثين درهما ، والرطل من الحبر عشرة دراهم ، والرطل من
لحم الضأن ستين درهما فلوسا ، والطائر المتوسط من الدجاج بيضعة وخمسين
درهما فلوسا ، والبيضة الواحدة من بيض الدجاج بـ درهمين فلوسا ، والأوقية من
الزيت بأربعة دراهم فلوسا .

٧٩ / والرطل الواحد من الكتري إلى بيضعة وخمسين درهما ، والقنطار من
ويبلغ كل قَدَحٍ من بئر الرحلة بالقاهرة إلى ستين درهما فلوسا وسبعين ،
الشوخين^(٢) إلى ثلاثين ألف درهم فلوسا ، والقنطار من التريجين إلى خمسة عشر
ألف درهم فلوسا ، والزهرة الواحدة من التلوفر^(٣) إلى درهم فلوسا ، والحجارة
الواحدة إلى درهم فلوسا ونصف . وأبيع الفروج الواحد بسبعة وثلاثين درهما
فلوسا ، وأبيع في تركية مُلُوطان^(٤) غسيلان من قطنٍ بـ ألفي درهم ومائتي درهم
وأربعين درهما فلوسا ، وبقي المبيعات بهذه النسبة . فمن نظر إلى أثمان المبيعات
باعتبار الفضة والذهب لا يجدها قد غلَّت إلا شيئا يسيرا ، وأما باعتبار ما دَفَّسَ
الناس من كثرة الفلوس فلمْ لا أُنشِغ من ذكره ولا أُنْفِغ من قوله ، ففَسَدَتْ بِهِ

(١) ثروجة : بالفتح ثم تشديد ثاء من كثرة الجورة من أعمال الإسكندرية . انظر : بقاوت الحموي
معجم البلدان : ج ٢ ص ٢٢٠ ، ٢٢١ . تحقيق : فريد عبد العزيز الجندى .
(٢) الشوخين : لفظ فارسي الأصل معناه نوع من القطن ، وهو يشبه السكر في الحلوة و يثبت في إيران
والحد المقصود به نوع من الأتربة أو التريانات المستعملة في تلك العصور .
(٣) التلوفر : جنس نباتات حائلة من الفصيلة التيلو لرية فيه أنواع تثبت في الأهبار والمنافع وأنواع تُزرع
في الأحواض لورقيها وزهرها ومن أنواعه الزوطن أي عر التل الليل ونسعى بالشيخين .
(٤) ملوطان : مثل طردة ملوطة وجمعها ملوكية وهي آباء وأصح الكثرين طوبلها بلس فسوى القرحية
وكانت تصنع أحيانا من الحرير الأخضر أو الكتان لثوبه وكانت تلبس قوميا في عصر المماليك . : ١١٠
عائشور : العصر المماليكي في مصر ولشاه ص ١١٠ .

فصل

فيما يُزيل عن العباد هذا الداء
ويقوم لمرض الزمان مقام الدواء

وإذ قد تقدّم من القول بيان الأسباب التي حصلت منها هذه المحن ، فَيَتَبَيَّنُ أن يعرف مَنْ فق الله ذهنه ، وأزال غشاء بصره ، كيف العمل في إزالة ما بالناس من هذه البليات ؛ لتعود أحوالهم إلى مثل ما كانت عليه من قبل . فنقول : اعلم أرشدك الله إلى صلاح نفسك ، وأملك مراشد أبناء جنسك ، أن النقود المتعيرة شرعاً وعقلاً وعادة إنما هي الذهب والفضة فقط ، وما عداهما لا يصلح أن يكون نقداً . وكذلك لا يستقيم أمر الناس إلا بحملهم على الأمر الطبيعي الشرعي في ذلك ، وهو تعاملهم في أثمان مبيعاتهم ، وإعواض قيم أعمالهم بالفضة والذهب لا غير ، وذلك يسيراً على من يسه الله له . وهو أن الفضة الخالصة - التي لم تضرب ولم تُغش - سبعة كل مائة درهم منها خمسة مثاقيل من الذهب ، وتحتاج بدار الضرب في مئة نحاس ومكس للسلطان ومئة حطب وأجرة صنّاع ونحو ذلك - بحكم سعر هذا الوقت - إلى ربع دينار ؛ فتصير لهذا العمل وزن مائة وخمسين درهماً معاملة عنها من الذهب كما مرّ آنفاً خمسة مثاقيل وربع مثقال . فبحكم ذلك يكون صرف كل مثقال من الذهب المختوم (١) بأربعة وعشرين درهماً من الفضة المعاملة ، والمثقال من الذهب الآن يُؤخذ فيه عن صرفه من النحاس الأحمر/المضروب قطعاً المسمى فلوساً ثلاثة وعشرون رطلاً وثلاث رطل ، حساباً بزعيمهم مائة وأربعون درهماً فلوساً ، وهو صرف الدينار بالفلوس لعهدنا .

٨١

فإذا وفق الله تعالى مَنْ إليه أمرُ الرعية أن يأخذ ذلك القدر في ضرب الفضة المعاملة ، فإنه يؤول أمر الناس إن شاء الله تعالى إلى زوال هذا الفساد ، وعودهم إلى رجوع أسعار المبيعات وقيم الأعمال على ما كانت عليه قبل هذه المحن ؛ فإنه نين كما ذكر أن المثقال من الذهب يُصرف بأربعة وعشرين درهماً من الفضة المعاملة ، ويؤخذ بالأربعة والعشرين درهماً من الفضة ثلاثة وعشرون رطلاً وثلاث رطل من الفلوس التي تعد في كل درهم من الفضة المعاملة ، منها نحو مائة وأربعين فلساً تُصرف في محقرات المبيعات ونفقات البيوت ، فيعظم النفع بها ، وتنحط الأسعار ، وعمماً قليل لا تكاد توجد لضرب الناس لها أواني ؛ وفي ذلك من صلاح الأمور واتساع الأحوال ، وفور النعم وزيادة الرِّفْق ، ما لا حد له ، والله يَعْلَمُ وأَشْمَ لَا تَعْلَمُونَ .



(١) المختوم : الذهب المراجع عياره والمختوم على السبيكة بخاتمه الدولة الرسمي . د. رافقت النصاراوى : المرجع السابق ص ٢٤٤ .

وما فاتني نصركم باللسان إذا هو قد فاتني باليد

اعلم وفعلك الله إلى الإصغاء إلى الحق ، وأهلك نصيحة الخلق أنه قد تبين بما

تقدم أن الحال في فساد الأمور إنما هو سوء التدبير لإغلاء الأسعار .

فلو وفق الله من أسند إليه أمر عياده حتى ردّ المعاملات إلى ما كانت عليه

قبل من المعاملة بالذهب خاصة ، ورد قيم السلع ، وعوض الأعمال كلها إلى

الدينار - أو إلى ما حدث بعد ذلك من المعاملة بالفضة المضروبة - ، ورد قيم

الأعمال وإنمان المبيعات إلى الدرهم ، لكان في ذلك غياث الأمة وصلاح الأمور ،

وتدارك هذا الفساد المؤذن بالدمار .

وبأن ذلك أن النقد إذا عاد إلى ما كان عليه أولاً ، و صار من ياتيه مال

من خراج أرض أو أجرة عقار ، أو معلوم سلطان أو من وقف أو قيمة عمل ،

فإنما يتناول ذلك ذهباً أو فضة بحسب ما يراه من بلى من أمور العامة ؛ فيصرف

ذلك فيما عساه يحتاج إليه من مأكول ومشروب أو ملبوس أو غيره . فعلى ما نزل

بنا الآن من اختلاف الأحوال ، إذا عمل ذلك لا يجد من صار إليه شيء من التقدير

على ما تقرّر غيباً البتة ؛ لأن الأسعار حيثما إذا تسببت إلى الدرهم أو الدينار

لا يكاد يوجد فيها تفاوت عما كنا نعهد قبل هذه الحن البتة ، إلا أشياء معدودة

سبب غلائها أحد أمرين : الأول : فساد نظر من أسند إليه النظر في ذلك وجهله

بسياسة الأمور ، وهو الأكثر في الغالب ؛ والثاني : الخاتمة^(١) التي أصابت ذلك

الشيء حتى قل كما حصل في لحوم الأبقار بالموت الذريع الذي نزل بها في سنة

ثمان وعثمان^[٨٠٨هـ] ، وما حصل في السكر من قلة زراعة قصبه واعتصاره

في سنتي سبع وثمان وثمانمائة ، وهذا يسر بالنسبة إلى الأول .

(١) الخاتمة : البلوى أو قصصية .

فصل

في بيان محاسن هذا التدبير العائد نفعه على الجمل الغفير

اعلم جملك الله بالمناقب ، وصانك من شين العايب ، أن من ملكه العوائد

واسترقته المآلوفات ، وقيدته رعونات^(١) نفسه حتى وقف على ما عهد ، ولم يستراء

إلى معرفة ما غاب عنه ، ولا تصور سوى ما أحس ، فإنه يقول : " لا فائدة في

إتعايب فكرك وإطالة كذك^(٢) ، وتضريب رأي نفسك ، وتخبطك فعل غيرك ،

والحال بعد طول العناء أفضى إلى كونه الذهب والفلوس على مثل ما كانا عليه

سواء ، من غير تغيير شيء من حالهما ، بغير زيادة في سعرهما ولا نقصان منه البتة .

فقول : صدق الله العظيم حيث قال : ﴿ هل يستوى الذين يعلمون والذين لا

يعلمون ﴾ فإنه لا شك أن فيما ذكرنا فائدتين جليلتين : إحداهما رجوع أحوال

العامة إلى مثل ما كانت عليه من قبل هذه الحن في أمور الأسعار وأحوال

المبيعات ، والفائدة الثانية بقاء ما بأيدي الناس من الذهب والفلوس - اللذين هما

النقد الرائج الآن - على ما هما عليه من غير زيادة ولا نقص ، مع رد الأحوال

والرفق والرخيص إلى ما كانت عليه أولاً قبل هذه الحن .

ولعمري لا يجهل قدر هاتين الفائدتين الجليلتين ، ويوجد حق هاتين النعمتين

المعظمتين ، من له أقل حظ من تمميز ، وأزرر نزر من شعور ، إلا من قصصد أن

يجنون عهد الله وأمانته فيما استرعاه من أمور عياده بإظهار الفساد وإهلاك العباد ،

والله لا يهدي كيد الخائنين . فاقول وبالله أستعين فهو المدع .

(١) محاسن ومنها أرعن أي الأصمق والأوج لم تصرفه . هير وزبادي : القاموس المحيط .

(٢) أي لم يهاق نفسك . وكذا قلنا كنا أي شئت في العمل ولا فيه .

ومع ذلك فلو وجد من أوتي توفيقاً وألهم رشداً ، لكان الحال غير ما عنيه
الآن بخلاف الحال في هذه المحن ؛ فإن المال الواصل إلى كل أحد من خراج أو
غيره ، إنما هو فلوس منسوبة إلى الأبطال كما تقدم ، والذهب والفضة وسائر
المبيعات كلها من مأكول وملبوس أو غيره نعم ، وخراج الأرضين إنما ينسب إلى
الفلوس ، فيقال : كل دينار بكذا وكذا درهماً من الفلوس ، والفضة كل درهم
منها بكذا وكذا درهماً من الفلوس ، والثياب والسلع كلها ، والخراج في الإقليم
كله ، كل كذا من كذا بكذا وكذا درهماً من الفلوس . وبالضرورة يدرى كل
ذي حس ، - وإن بلغ في الجهل الغاية من الغاوة - أن المال إنما يؤخذ غالباً عن
خراج الأراضي ، أو أثمان المبيعات أو قيم الأعمال ، أو من وجوه البر والصلات ،
وأنه لا بد وأن يصرف في الأمور الحاجية وسائر الأغراض البشرية ؛ إما على وجه
اقتصاد ، أو في سبيل السرف والتبذير . فإذا صار إلى أحد مبلغ ما من هذه
الفلوس ، وأنفق في سبيل من سبل أغراضه ، فإنه يجد من الغبن ما لا غاية وراءه .
وبين ذلك أن السلطان إذا وصل إلى ديوانه ستون ألف درهم من الفلوس ،
فإنما يقبض منها متولى ذلك الديوان مائة قنطار من الفلوس ، أو ذهباً بحسابه ؛ فإن
كان مثلاً إنما وردت إلى ديوان الوزارة ، فإن الوزير لما يحتاج إليه من اللحوم
السلطانية يشتري هذه الستين ألف درهم ، التي وزمها مائة قنطار من الفلوس ،
وعنها من الذهب بمساها ، ما زنته من اللحم ستة وستون قنطاراً وثلاث قنطار ،
حساباً عن كل قنطار سبع مائة درهم . وقبل هذه المحن كان يشتري بالستين ألف
درهم ألف قنطار وخمسمائة قنطار من اللحم ، حساباً عن كل قنطار أربعين
درهماً ، و فرق عظيم وغبن فاحش ما بين الأول والثاني .

واعتبر ذلك في سائر الأموال السلطانية ووجوه مصارفها ، وتـزـل إلى
أموال الأمراء ، ثم إلى من دولهم من رؤساء الدولة ، كالوزراء والفضة وأعيان الكتاب
ومياسير التجار وغيرهم ، فإنك تجد مثلاً الواحد من أهل الطبقة الوسطى إذا كان

معلومه^(١) في الشهر ثلاثمائة درهم ، حساباً عن كنز يوم عشرة دراهم ، فإنه كان
قبل هذه المحن إذا أراد النفقة على عياله يشتري من هذه العشرة دراهم الفضة
مثلاً ثلاثة أبطال خم من لحوم الضأن بدرهمين . ولتوابلها مثلاً درهمين ، ويقضى
غداء ولده وأهله ومن عساه يتقدمه بأربعة دراهم . واليوم إنما تصرف إليه العشرة
فلوساً زنتها عشرون أوقية ، فإذا أراد أن يشتري ثلاثة أبطال لحم فإنما يأخذها
بسبعة وعشرين درهماً فلوساً ، ويصرف في نوتها وما يصلح شأنها على الحاللة
الوسطى عشرة دراهم ؛ فلا يتأني له غداء ولده وعيالاته إلا بسبعة وثلاثين درهماً
فلوساً ، وأنى يستطيع من متحصلة عشرة أن يشتري سبعة وثلاثين في غداء واحد ،
سوى ما يحتاج إليه من زيت وماء وأجرة مسكن ومؤونة دابة وكسوة ، وغير
ذلك مما يطول سرده ، ويكفى فيه تساوي العادم من الحاضرين بمعرفته . فهذا هو
سبب زوال النعم التي كانت بمصر ، وتلاشي الأحوال بها ، وذهاب الرفه ،
 وظهور الحاجة والمسكنة على الجمهور . ولو شاء ربك ما فعلوه .

فلو وفق الله تعالى من أسند إليه أمور البلاد إلى رد النقود على ما كانت
عليه أولاً ، لكان صاحب هذه العشرة دراهم إذا قبضها فضة رآها على حكم
أسعار وقتنا هذا تكفيه وتفضل^(٢) عنه ؛ فإن المراء الذي قلنا إن قيمته الآن سبعة
/ وثلاثون درهماً من الفلوس يدفع فيه الآن سبعة دراهم وثلث درهم من الفضة
المعاملة حساباً عن كل درهم من الفضة خمسة دراهم من الفلوس ، التي زنتها
عشرة أواق . فإذا ليس بالناس غلاء ، إنما أرادهم سوء التدبير من الحكام ؛
ليذهب الله غناء الخلق ويتليهم بالقلة والذاه . جزاء مما كبت أيديهم ولبدقتهم
بعض الذي عملوا ولعلهم يرجعون .

(١) معلومه : رقبته

(٢) أي تزيد على حاجته .

المصادر:

- ١ - ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي) المتوفى سنة ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م.
- إنباء النضر بآباء العمر - ٤ أجزاء - تحقيق - د. حسن حبشي - المجلس الأعلى للشتون الإسلامية الطبعة الثانية ١٩٩٨ - القاهرة.
- ٢ - ابن خلدون (ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الانشيلي) المتوفى سنة ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م.
- المقدمة - دار الفكر - القاهرة - بدون تاريخ.
- ٣ - ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد) المتوفى سنة ٦٨١ هـ - ١٢٨٢ م وفيات الأعيان وآباء الزمان - ٨ أجزاء - تحقيق إحسان عباس - دار الثقافة ١٩٦٩ - ١٩٧٢ - بيروت.
- ٤ - ابن دماق (صالح الدين إبراهيم بن محمد بن أيلمر الملاح) المتوفى ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م الانتصار لمراسلة عقد الأمصار، ج ٤، ٥ - دار الأفاق الجديدة - بيروت بدون تاريخ.
- ٥ - السيوطي (جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد) المتوفى سنة ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م.
- حسن المعاصرة في تاريخ مصر والقاهرة ١ - ٢: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٩٨ م.
- ٦ - ابن عبد الظاهر (القاضي محيى الدين عبد الله) المتوفى سنة ٦٩٢ هـ - الروضة البهية الزاهية في خطط المنزلة القاهرة - تحقيق د. أيمن فؤاد سيد - الدار المصرية اللبنانية - ١٩٩٥ - القاهرة.
- ٧ - الفيروز آبادي (العلامة محمد أمين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشيرازي) المتوفى سنة ٨١٠ هـ: القاموس المحيط - ٤ أجزاء - نسخة مصورة عن الطبعة الثانية للطبعة الأميرية سنة ١٣٠١ هـ - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ - ١٩٨٣ م

وهذان الثلاثان فهما كناية لمن أزال الله الطمخ عن قلبه ، وهدها إلى إغاثة الصلاد وعمار البلاد ، والله الأمر من قبل ومن بعد .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : تيسر لي ترتيب هذه المقالة ولهديسها لي ليلة واحدة من ليالي الحرم سنة لمان ومماناة [٨٠٨ هـ] ، والله يهدي من يشاء ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على من لا نبي بعده .



ووافق الفراغ من تسويدها لي اليوم التاسع عشر من شعبان المكسرم سنة ١١٠١ هـ ، على يد أنقر العباد محمد الشهر بالقطري ، إمام حكام الوزير وخطيبه ، ينشر حلة المحروس^(١) .

[تم بحمد الله و توفيقه]

(١) هذا ختام نسخة خطية ضمن مجموعة رسائل الشقريزي بمكتبة ولي الدين بعلج بالزبد بالستانبول (٢١٥) و التي لخص عليها د. زبادة د. قشبال في النسخة (د)

- ٨ - الفلستدي (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي) التوفى سنة ١٢١ هـ - ١٤٩٨ م - صحب الأعمش في صناعة الإنشاء - ١ - ١٥ طبعة دار الفكر - ١٩٨٧.
- ٩ - أبو المحاسن (جمال الدين يوسف بن تغري بروجي) التوفى سنة ٨٨٤ هـ - ١٠٧٦ م - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١ - ١٦ دار الكتب المصرية ١٩٢٩ - ١٩٧٦.
- ١٠ - المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ج ١ تحقيق د. محمد محمد أمين - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥.
- ١١ - السبعي (الأمير المنار عز الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد) التوفى سنة ٤٢٠ هـ - ١٠٢٩ م وأخبار مصر في ستين ٤١٤ - ٤١٥ هـ الجزء الأربعون تحقيق وليم ج. ميلورد. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣ م.
- ١٢ - القرظي (تقى الدين أحمد بن علي) التوفى سنة ٨٤٥ هـ - ١٤٤١ م.
- ١٣ - إغاثة الأمة بكشف الغمة - تحقيق د. محمد مصطفى زيادة - د. جمال الدين الشيال.
- ١٤ - الطبعة الثانية - لجنة التأليف والترجمة - القاهرة - ١٩٥٧ م.
- ١٥ - طبعه دار ابن الوليد تقديم وتعليق د. بدر الدين السباعي - سوريا ١٩٥٦ م.
- ١٦ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ٤ أجزاء طبعة مكتبة الآداب بالقاهرة: ١٩٩٠، طبعة بولاق ٢ جزآن ١٢٧٠ هـ.
- ١٧ - إمتاع الاسماع بما للنبي ﷺ من الآباء والأموال والخفة والمتاع - الجزء الأول - تحقيق وتعليق - محمد عبد الحميد النعيسى - مراجعة وتقديم د. محمد جعفر خزي - دار الانصار - القاهرة - ١٩٨١.
- ١٨ - النفود القديمة والإسلامية - نشر الأب آنتناس الكرمل في كتاب الشرق - مصرية والإسلامية وعلم النبات - طبعة مكتبة الثقافة الدينية ١٩٨٧ م - القاهرة.
- ١٩ - ابن عماني (أبو المكارم الأسعد بن مهذب الخطير أبو سعيد بن مينا) التوفى سنة ٦٦٦ هـ - ١٢٦٦ م.

- ٢٠ - ابن كثير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي - التوفى سنة ٧٧٤ هـ.
- ٢١ - البداية والنهاية ٨ أجزاء حققه - محمد عبد العزيز النجار - دار الفهد العرسي - القاهرة - ١٩٨٩ - ١٩٩١.
- ٢٢ - التوفى سنة ٧٧٤ هـ.
- ٢٣ - نصح الكتاب مشهور في المدة ١١٤ - من سلسلة أعلام العرب - الهيئة المصرية العامة للكتاب - سنة ١٩٨٥.
- ٢٤ - المراجع العربية:
- ٢٥ - د. أحمد شلبي - موسوعة التاريخ الإسلام - الجزء الخامس - مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الثامنة - ١٩٩٤ م - القاهرة.
- ٢٦ - د. أيمن فؤاد سيد - الدولة الفاطمية في مصر - تفسير جديد - الدار المفيدة اللبنانية - الطبعة الأولى ١٩٩٢ م.
- ٢٧ - الأب آنتناس الكرمل - النفود العربية والإسلامية وعلم النبات. مكتبة الثقافة الدينية ١٩٨٧ - القاهرة.

- ٢٦ - د. اليومى إسماعيل الشربيني - مصادرة الاملاك في الدول الإسلامية عصر دولة المماليك الجراكسة - جزآن
- سلسلة تاريخ المصريين - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٨ - القاهرة
- ٢٧ - النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك - سلسلة تاريخ المصريين - العدد - ١١٨ - الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ٢٨ - د. بول غليوني - عبد اللطيف البغدادي طبيب القرن السادس الهجري، شخصيته، إنجازاته - سلسلة أعلام العرب، عدد ١١٤ - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٥ - القاهرة.
- ٢٩ - د. حورية عبد سلام - الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة الفسطاط في عصر الولاة - الطبعة الأولى - دار النهضة العربية ١٩٩٣م القاهرة.
- ٣٠ - د. حسن الباشا الانقلاب الإسلامية في الوثائق والتاريخ والأثار - دار النهضة العربية ١٩٧٨م القاهرة.
- الفنون الإسلامية والزخارف على الآثار العربية - دار النهضة العربية ١٩٥٧م القاهرة.
- ٣١ - د. حسنين محمد ربيع - دراسات في الدولة البيزنطية - دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٩٤.
- ٣٢ - رمزية محمد الأتربي - بناء بغداد في عهد أبي جعفر المنصور - رسالة ماجستير منشورة - مطبعة النعمان النجف الأشرف - بغداد ١٩٧٥م.
- ٣٣ - وفاة الطيطاوى - الدولة الإسلامية نظامها وعملاتها - مكتبة الآداب - القاهرة ١٩٨٥م.
- ٣٤ - د. وأفت التبراوى النقود الإسلامية في مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة - مركز الحضارة العربية للاعلام والنشر - الطبعة الثانية ١٩٩٧ - القاهرة.
- ٣٥ - د. سعيد عبد الفتاح عاشور، عبد الرحمن الرافى - مصر في المعصور الوسطى - من الفتح العربى إلى الغزو العثمانى - دار النهضة العربية ١٩٩٤ - القاهرة.
- ٣٦ - د. سعيد عبد الفتاح عاشور - العصر المماليكى في مصر والشام - مكتبة الانجلو - القاهرة ١٩٩٣
- ٣٧ - سهام مصطفى أبو زيد - الحسية في مصر الإسلامية - من الفتح الإسلامى وحتى

- نهاية الدولة المملوكية - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٥م
- ٣٨ - د. سيدة إسماعيل الكانف - مصر في عصر الاخشيديين - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩ - القاهرة
- ٣٩ - د. عبد الرحمن زكى - موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام - مكتبة الانجلو ١٩٨٣ القاهرة.
- ٤٠ - د. عبد الرحمن عبد التواب - منشآت المائية عبر التاريخ - سلسلة المكتبة الثقافية - العدد ٩٦ - وزارة الثقافة والإرشاد القومى ١٩٦٣ - القاهرة.
- ٤١ - د. عبد الرحمن لهنس - النقود العربية ماضيها وحاضرها.
- المكتبة الثقافية - العدد - ١٠٣ - وزارة الثقافة والإرشاد القومى ١٩٦٤ - القاهرة.
- ٤٢ - د. محمد بركات البيلى - الأزمات الاقتصادية والأوبئة في مصر الإسلامية، دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٨٩.
- ٤٣ - د. محمد ضياء الدين الرئيس - الحراج والنظم المالية للدولة الإسلامية.
- الطبعة الرابعة - دار الانتصار - ١٩٧٧ - القاهرة.
- ٤٤ - محمد عبد الله هنان - مصر الإسلامية وتاريخ المخطط المصرية - مكتبة الخانجي - الطبعة الثانية - ١٩٦٩م - القاهرة.
- ٤٥ - محمد قنديل البقل - التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤.
- ٤٦ - د. محمود رزق سليم - عصر سلاطين المماليك - ٨ أجزاء في ٤ مجلدات - طبعة مكتبة الآداب - ١٩٥٦ - ١٩٦١ - القاهرة.

كشاف أبجدي عام

(١)

- أدم عليه السلام: ٤٢، ٥
الأمر بأحكام الله (الخليفة الفاطمي): ٢٢
إبراهيم بن وصيف شاه: ٥
ابن شعبة (محمد): ٦٠
ابن سيرين: ٥٠
ابن عساكر: ٤٢
ابن هرجيب بن شهلوف: ٥
أبو البركات (الوزير): ١٤
أبو بكر الصديق (الخليفة): ٤٤
أبو جعفر المنصور (الخليفة العباسي): ٥١
أبو الطاهر المحلى: ٥٩
أبو عبد الله بن فساتك (الأمون البطائحي،
الوزير): ٢٢، ١٢
أبو القاسم بن أبي زيد: ٥٩
أبو محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن
اليازوري (الناصر لدين الله، الوزير): ١٤،
١٥، ١٦، ١٧
أبو محمد الحسن بن عمار: ١١
أبو المسك كافور الأخشيدي: ٩، ١٠
أبو المنجا شعبا اليهودي: ٢٧
أبو هريرة: ٥٥
أثريب بن مصرم: ٦
أثريب (مدينة قديمة): ٦
أجناد الحلقة: ٦٦، ٦٧
الأحنف بن قيس: ٤٤
أرباب الجهات: ٢٤
أرباب المعاش: ٦٤، ٦٥
أرباب الصنائع: ٣١، ٣٨، ٦٤
الارتفاع: ١٨
* أردب: ٧
أرفخشذ بن سالم: ٦، ٤٢
أسامة بن زيد التوخي: ١٢
* الإسكندرية: ١٢، ٥٧، ٦٠، ٦٣، ٦٨،
٧٠
أصحاب اليز: ٦٤، ٦٥
أفروس بن منوش: ٥
الأفضل بن وحش: ٢٣
الأكراد: ٤١
أمير مائة: ٢٩
الأمين (محمد، الخليفة العباسي): ٥٣
* الأتبار: ٥١
* الأندلس: ٤١
* الأهرام: ٢٣، ٢٧
أهل الحصاة والمكة: ٦٧
أهل الشر: ٢٥
* الأوقية: ٤٣
أنوجور (أبو القاسم بن الأخشيدي): ٨
(ب)
* باب البحر: ١٣
* بحر أبي المنجا: ٢٧
* باب زويلة: ٢١، ٣٠
* البحيرة: ٢٨
البراطيل والحمايات: ٣٢، ٦١

رموز الكشاف: (●) البلدان والأماكن (●) الأوراد والتكايل (/) العملات

• برقة: ٢٧، ٢٨
 يرفوق (السلطان الظاهر): ٢٧، ٣٨، ٦٢
 • البصرة: ٤٤، ٤٥، ٥٣
 ذ بعلبك: ٣٢
 • بغداد: ٥٩، ٦٠
 • البقاع: ٣٢
 • بنها: ٦
 بنى أمية: ٤٦
 بنى إسرائيل: ٤٦
 بنى العباس: ٤٦
 بيت المال: ١٢، ١٩، ٥٧
 • البندر. جد. بيادر: ١٧
 البيكار. جد. بواكر: ٢٩
 (ث)
 الترغيبين: ٧٠
 الترك: ٤٦
 • تروجة: ٧٠
 • التليس: ١٣، ١٦، ١٧، ٢٠
 التوراة: ١٧
 (ج)
 • جامع راشدة: ١٣
 • جامع العتيق: ٨، ٩، ٢٣
 • جامع الوزير: ٧٨
 • جبة عسال: ٣٣
 • جلة: ٧٨
 جريب: ٤٤، ٥٥
 جستان الثاني (الأميراطور): ٤٦
 جراية: ١٦، ٢٧
 الجسور. جد. جسر: ٢٥، ٤٠
 جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي: ٥٢، ٥٣
 جنكر خان: ٦٠

الجهة: ١٧
 جوهر (القائد الفاطمي): ١٠
 • الجزيرة: ٢٤
 (ح)
 • حبة: ٤٣
 • حارة الديلم: ٣٠
 الحاكم بأمر الله (الخليفة الفاطمي): ١١، ١٣، ١٤، ٥٦
 الحافظ لدين الله (الخليفة الفاطمي): ٢٣
 الحجاج بن يوسف الثقفي: ٤٦، ٤٧، ٥٠
 • الحجار: ٢٩، ٣٦
 • حران: ٥١
 الحسن بن سهل: ٥٢
 الحسن بن عبد الله بن طغج: ١٠
 الحسن (قصر ببغداد): ٥٢
 • حلب: ٢٨
 • حلى بنى يعقوب: ٢٩
 الحمايات (انظر البراطيل):
 • الحوائج خاتنة: ٢٨
 (خ)
 خالد بن عبد الله القسري: ٥١
 خالد بن يزيد بن معاوية: ٤٦، ٤٧
 الخيز المكرج: ٦٠
 • خراسان: ٧٠
 الخروية: ٥٨
 الخريطة (الخزائن): ٥٢
 (د)
 • دار الأمرية: ١٢
 • دار الضرب: ١٢، ٥٣، ٥٧، ٦٢، ٧٢
 • دلق جمع دوانيق: ٦، ٤٣، ٤٦، ٤٨
 / الدراهم البيطية: ٤٣

/ الدراهم البيض: ٥٠
 / الدراهم الجدد: ١٢، ٥٧
 / الدراهم الجوارقية: ٤٢
 / الدراهم الجواز: ٤٣
 / الدراهم الحالدية: ٥١
 / الدراهم الزيوف: ٥٤
 / الدراهم السوءاء: ٤٢، ٤٦، ٤٨، ٥٧
 / الدراهم الطبرية العنق: ٤٢، ٤٨
 / الدراهم القطع (انظر الدراهم المزيفة):
 / الدراهم الكاسية: ٥٧، ٦١
 / الدراهم الكسوية: ٤٥
 / الدراهم المدورة: ٤٦
 / الدراهم المزيفة: ١١، ١٢، ٥٧
 / الدراهم المسودة: ٥٧
 / الدراهم المعاملة: ١١، ٦٨، ٧٣
 / الدراهم المكروعة: ٥٠
 / الدراهم ليلية: ٤٧
 / الدراهم القيسرية: ٥٠، ٥١
 / الدراهم النقرة: ٥٩
 / الدراهم الهاشمية: ٥٢
 / الدراهم الهيبة: ٥٠، ٥١
 الدراهم الوافية: ٤٢، ٤٨
 / الدراهم الورق:
 / الدراهم اليوسفية: ٥١
 الدراهم (ورق): ٤٣، ٤٧، ٤٩، ٥٦، ٦٠، ٦٦
 • دمشق: ٣٢، ٣٣، ٤٢، ٤٣
 / دناتير الخريطة: ٥٢
 / الدناتير القيسرية: ٤٢
 الديلم: ٤١
 / الدناتير الهاشمية: ٥٣
 / الدينار: ١٢، ١٣، ١٤، ١٧، ٢١، ٢٢

/ الدينار المبهرج: ٦٠
 الدينوان السلطاني: ٢٠
 (ر)
 رأس لبخل ليهودي: ٤٣
 / ريماس (درهم ودينار): ١٥
 • الرطل: ٢٧، ٢٨، ٤٣
 • الرملة: ١٠
 الروزنامج: ١٧
 الروم: ٤١، ٤٢، ٤٦، ٥٩
 الريان بن الوليد: ٧
 • الري: ٥٢
 (ز)
 الزعار: ٤٠
 • رقاق القناديل (بالفسطاط): ٢٠
 زياد بن أبيه: ٤٥
 (س)
 سام بن نوح: ٦
 سعيد بن المسيب: ٤٧
 السكة الإسلامية: ٤٧، ٤٨
 سليمان بن عبد الملك (الخليفة الأموي): ٥٠
 سليمان بن عزة (المتحسب): ١١
 سمير اليهودي: ٤٧
 السندي بن شاحق: ٥٣
 سوق السيوفين (بالقاهرة): ٣٠
 سيف الدين حنين: ٢٤
 (ش)
 • شام: ٢٨، ٣٣، ٣٦، ٤١، ٥٥، ٥٧، ٨٥
 الشهد حد شهود: ٦٦
 شعبان (السلطان الأشراف): ٣٤
 • الشوايف: ٤٤
 • الشوك: ٢٩

• الشرقية: ٢٨

• الشون (انظر الأهرام): ٣٤

• شبحون (الأمير): ٣٣

• الشيرخشك: ٧٠

(ص)

• صابر بن مصرم: ٧

• صاحب السيل: ٢٠

• الصاع: ٤٩

• الصالح طلائع بن رزيك (الوزير): ٢٣

• صور: ١٢

• صنجة: ٤٤، ٤٧

(ط)

• طبرستان: ٤١

• طرية (مدينة)

• طيلسان جد. طيالس: ٢١

(ع)

• العادل أبو بكر بن أيوب (السلطان): ٢٤، ٢٦، ٢٥

• العادل كتيبا (السلطان): ٢٦، ٦١

• العباس بن الفضل بن الربيع:

• عبد الله بن الزبير: ٤٦

• عبد الله بن عامر: ٥٣

• عبد الله بن عبد الملك بن مروان: ٨

• عبد الله بن مروان: ٤٦

• عبد الملك بن رقاعة: ١٣

• عبد الملك بن مروان: ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٥٠

• عبيد الله بن زياد: ٥٣

• عثمان بن حنيف: ٥٥

• عثمان بن عفان (الخليفة): ٤٥

• العراق: ٣٦، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٥٤، ٥٥

• عريف: ١٥

• عفلان: ١٢

• علي بن أبي طالب (الخليفة):

• عمر بن الخطاب (الخليفة): ٤٤، ٤٥، ٥٥

٥٦

• علي بن الأخشيدي: ٩

• عمر بن عبد العزيز (الخليفة الأموي): ٥٠

• عمر بن هبيرة: ٥٠

• عمرو بن العاص: ٥٥

• المبار: ٤٥

• عبن ملوان: ٢٧

(غ)

• الغريبة: ٢٨

• الغرارة: ٢٨، ٢٩

• الغرور: ١٩

(ف)

• فالغ بن غابر: ٤٢

• الفائز (الخليفة الفاطمي): ٢٣

• فرعان بن مسور: ٤٢، ٦٦

• فخر الدين بن الخليلي (الوزير): ٣٢، ٦١

• فخر الدين بن الطنبغا الساسي (الأمير): ٣١

• الفسطاط: ٩، ٢٠

• الفضل بن الربيع: ٥٣

• / الفلوس جد. فلس: ٣٢، ٤٢، ٥٨، ٦٢

٦٨، ٦٣

(ق)

• قابيل بن آدم: ٧

• القاهرة: ١٠، ١٤، ١٧، ٢٠، ٢٥، ٣٠

٣٧، ٥٧، ٦٢، ٦٨، ٧٠

• القبط: ٤١، ٥٥

• القلاح: ٦٨، ٧٠

• القدس: ٢٧، ٢٨

• القرامطة: ١٠

• قرة بن شريك: ١٢

• القفيز: ٤٥

• القنطار: ٦٨

• قوص: ١٢

• القيروط جد. قرايط: ٤٦

• قلم الخطا: ٦٠

(ك)

• كافور الأخشيدي (انظر أبو المسك).

• الكامل محمد بن العادل (السلطان): ٥٧، ٦١، ٥٩

• الكرك: ٢٩

• الكوفة: ٦٠

• الكوفة: ٤٥

• المأمون البطاحي (انظر أبو عبد الله).

• المأمون (عبد الله، الخليفة العباسي): ٥٣

• مالك (الإمام): ٥٠

• متحصل الموارث: ٣٢

• المتوكل (الخليفة العباسي): ٥٣

• / المتقال: ٤٤، ٤٤، ٤٩

• (-) للحجب: ١١، ١٥

• محمد (رسول الله ﷺ): ٤٤، ٤٦، ٤٧، ٤٨

• محمد بن قلاوون: ٣٣

• محمد بن هارون الرشيد: ٥٣

• محمد القطري: ٧٨

• محمود بن علي الاستادار: ٦٦

• المد: ٥١

• المدينة: ٤٦، ٤٨

• مروان بن محمد (الخليفة الأموي): ٥١

• المسيحي (الأمير المختار عز الملك محمد بن

• عبيد الله بن أحمد): ٥٦

• المستنصر (الخليفة الفاطمي): ١٤، ١٩، ٢١

• مسعود الصقلي: ١٢

• مصر: ٣، ٥، ٦، ٧، ٨، ١٥، ١٧، ٢٦

٢٧، ٢٩، ٣٣، ٣٦، ٤١، ٤٣، ٥٤، ٥٥

٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٤

• المغرب: ٤١، ٦٠

• مصعب بن الزبير: ٤٦

• معاوية بن أبي سفيان (الخليفة الأموي): ٤٥

• المتعصم (أبو إسحاق، الخليفة العباسي): ٥٣

• المعز لدين الله (الخليفة الفاطمي): ١٠

• معقل بن يسار: ٤٤

• مكة: ٢٩، ٤٣، ٤٤، ٤٦

• الملوطة بد. ملاليط، ملوطات: ٧٠

• المناخ: ٢٥

• المهدي (الخليفة العباسي): ٥٢

• موسى عليه السلام: ٧

(ن)

• نابلس: ٣٢

• النش: ٤٣

• النواة: ٤٣، ٤٤

• نوح عليه السلام: ٥، ٦

(ل)

• لاذو بن سام: ٦

• الليط: ٤١

• النيلوفر: ٧٠

• الهادي (الخليفة العباسي): ٥٢

• هارون الرشيد (الخليفة العباسي): ٥٢، ٥٣

• هشام بن عبد الملك (الخليفة الأموي): ٥١

• هود عليه السلام: ٦

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	• مقدمة المدقق
٣	١ - المؤلف وحياته
٥	٢ - مؤلفات القرظرى
١٢	٣ - أسلوب القرظرى
١٣	٤ - عصر القرظرى
١٦	٥ - الكتاب أصوله وأهميته وقصوله
٣	• مقدمة المؤلف
٣	فصل فى ذكر مقدمة حكيمية تشتمل على قاعدة كلية
٥	فصل فى إيراد ما حل بمصر من الغلوات وحكايات يسيرة من أنباء تلك السنوات
٣٦	فصل فى بيان الأسباب التى نشأت عنها هذه المهن التى نحن فيها حتى استمرت طول هذه الأزمان التى دُفَعْنَا إليها
٥٥	فصل
٦٤	فصل فى ذكر أقسام الناس وأصنافهم وبيان جمل من أحوالهم وأوصافهم ..
٦٨	فصل فى ذكر نبل من أَسْعَارَ هذا الزمن وإيراد طرف من أخبار هذه المهن ...
٧٢	فصل فيما يزيل عن العباد هذا الداء ويقوم بأمراض الزمان مقام الدواء
٧٤	فصل فى بيان محاسن هذا التدبير العائد نفعه على الجسم العفير
٧٩	- ثبت المصادر والمراجع
٨٥	- كشف أيجدى عام

(ى)

اليازورى (انظر ليو محمد الحسن)

يزيد بن حصيد الملك (الخليفة الأسوى): ٤٧،

٥٠.

• اليمن: ٢٩، ٤١

يوسف بن عمر الثقفى: ٥١

يوسف عليه السلام: ٧، ٢٦

(و)

الواتق (الخليفة المباسى): ٥٣

• واسط: ٥١

الوسمى: ٢٧

الوليد بن عبد الملك (الخليفة الأموى): ٥٠

الوليد بن يزيد: ٥١

• الوليدية: ٣٠

• الويبة: ١٣